الفصل العشرون

مقالات في مناسبات[1]

أولاً: استقبال رمضان[2]

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل القرآن الحكيم في شهر رمضان ليكون هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، والقائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]. والصلاة والسلام على رسول الله، المبعوث رحمة للعالمين، وهو إمام المتقين، والقائل: «والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم، ولكني أصوم وأفطر... فمن رغب عن سنتي ليس مني!» ورضي الله عن آل بيته الطيبين الطاهرين، وعن الصحابة أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد كان رسول الله ﷺ يستقبل رمضان فيخطب الناس في آخر جمعة من شعبان، ويقول: «اللهم بارك لنا في شعبان، وبلغنا رمضان». ولذلك يغتنم المسلمون شهر رمضان لفضائله العديدة التي سنذكرها.

---

(١) للمزيد من ذلك انظر مقالات أخرى في فصول سابقة:

- التربية المستمرة في الصيام = فصل ٨ العبادات.
- الهجرة النبوية دروس وعبر = فصل ١٤ السيرة.

(٢) ألقي في المحاضرة العامة التي نظمتها اللجنة الثقافية بجامعة الشارقة، يوم الاثنين الواقع في ٢٦ شعبان ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠٠٤/١٠/١١م في جامعة الشارقة، المدرج W ٢.

والمسلمون يبتهجون لاستقبال رمضان، ويستعدون لاستقبال هذا الضيف العزيز، وذلك أسوة واقتداء برسول الله ﷺ، واتباعاً لصحبه الكرام، والسلف الصالح.

ولذلك تجد العزيمة الصادقة، والفرحة العامرة لقدوم رمضان عند المسلمين والمؤمنين، والعبّاد المتقين، وأحباء الله الصالحين.

◈ الفرحة الإيمانية والروحية والنفسية لاستقبال رمضان:

إن المسلم يدرك فضل رمضان، وثواب الأعمال فيه، وأنه شهر خير وبر وعبادة، وأنه شهر القرآن، وشهر القيام، وشهر الصيام، وشهر ليلة القدر، وأن العشر الأخير منه أفضل أيام العام...، وغير ذلك فتبتهج روحه، ويتطلع إلى الاستفادة من هذه الإلهية، يتزود بالتقوى التي تعتبر أهم أغراض الصيام، قال الله تعالى في أول آيات الصيام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣] وقال تعالى في آخر آيات الصيام: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقال تعالى في أصل مشروعية العبادة لله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١]، فجاء الهدف والغاية في الآيات الثلاثة بالتقوى، فالعبادة عامة، والصيام في رمضان خاصة أهم الوسائل الموصلة للتقوى، أي للفوز برضاء الله تعالى ورضوانه في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٧]، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٣٦، ١٢٣]، ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٠]، ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ

وَعُيُونٍ ﴾ [الحجر: ٤٥]، ولذلك تبتهج النفوس، وتنتشي الأرواح، وتتهيأ نفسياً وروحياً لهذا الشهر ومعرفة أحكامه، وأسراره، وفضائله، وخصائصه. وبما أن الإسلام يجمع بين المادة والروح، والأحكام العملية الفقهية والأحكام النفسية التربوية الروحية فإننا نقسم الكلام على هذين المحورين.

أولاً: استقبال رمضان من الناحية المادية:

١- البقاء على قيد الحياة حتى رمضان الحاضر.

٢- استطلاع شهر رمضان.

٣- حرمة صيام يوم الشك.

٤- إدخار الأغذية والأطعمة.

ولذلك يبتهج المسلمون باستقبال رمضان، وقدومه ضيفاً عزيزاً، ومنحة إلهية، وفرصة طيبة، ونقدم بعض الجوانب والنقاط بمناسبة استقبال رمضان، وأهمها:

١- نعمة الحياة:

فإن المسلم يستقبل رمضان، ويحس ويشعر بفضل الله تعالى عليه ونعمته في مد عمره، وبقائه إلى هذا الشهر المبارك ليربح فيه على الله، ويتفيأ بظلاله، ويستفيد من أفضاله الكثيرة.

ويظهر ذلك بالمقارنة مع إخوة لنا وأحبة وأقارب كانوا معنا في رمضان الماضي، ثم انقضى أجلهم، ولحقوا بربهم، وانتقلوا إلى رحمته، بينما أفاء الله علينا نعمة الحياة لنعيش إلى رمضان القادم، ونقتنص من درره ولؤلؤه وجواهره.

٢- استقبال الهلال:

ومن أحكام استقبال رمضان أن يتسارع، ويتسابق المسلمون إلى استطلاع هلال رمضان في يوم التاسع والعشرين من شعبان، ويصعدوا الأماكن المرتفعة، والمناطق المفتوحة، ليتراءوا الهلال، إن رأوه هللوا وكبروا وشكروا الله تعالى، ودعوه قائلين: «اللهم أهله علينا بالخير واليمن والبركة، هلال خير ورشد ويمن، ربنا وربك الله..» ثم عادوا إلى بيوتهم ليحيوا أول ليالي رمضان بالتراويح، وينووا صيام اليوم القادم.

٣- تحريم صيام يوم الشك:

إذا لم ير الهلال يوم التاسع والعشرين من شعبان، فيكون اليوم التالي هو الثلاثين من شعبان قطعاً. ومن الناس من يدفعه الورع غير المقبول شرعاً لصيام يوم الثلاثين من شعبان احتياطاً من أن يكون أول يوم من رمضان، وهذا شك ووهم وورع مرفوض شرعاً وغير مقبول، ويكون صومه حراماً، لأنه قد يؤدي -يوماً ما- أن يعده الناس من رمضان، ويزيدون في رمضان، وقد يأتي رمضان ثلاثين يوماً، فيكون الصائم الشاك قد صام واحداً وثلاثين يوماً، وهو زيادة مرفوضة وباطلة في العبادة الصحيحة، فالله تعالى يقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ...﴾، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ...﴾ أي كتب الصيام في شهر رمضان، ورمضان يبدأ مع ظهو هلاله، وينتهي مع هلال شوال، ولذلك قال رسول الله ﷺ مؤكداً ومبيناً «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»، وإذا قلنا بصوم يوم الشك احتياطاً قد يدفع الورع الزائف لصيام يوم آخر قبله، وثالث، وهكذا يصبح الدين ألعوبة في أيدي الناس، والله تعالى تكفل بحفظ دينه.

٤- شبهة الاستعداد للتموين:

نرى كثيراً من الناس يستعدون لاستقبال رمضان بالتوجه إلى الأسواق والجمعيات الاستهلاكية لشراء الحاجيات، والتزود بالتموين باللحوم والمأكولات والمواد الغذائية، وكأنهم يستعدون لسفر، أو لحفلة، أو مجاعة. بل إن الدول ووزارات التموين والتجارة الداخلية تستعد لاستقبال رمضان مسبقاً، فتستورد المواشي والأنعام والمواد الغذائية، لتكديسها في المخازن وتسويقها في الدكاكين والجمعيات، وتوزعها على الأقاليم والمناطق.

وهنا تثور الشبهة في التعارض والتناقض بين كون رمضان شهراً للصوم وتخفيف الطعام، وتقليل الوجبات، وبين هذا الاستعداد بالتمويل وكأن الهدف من الصيام انقلب رأساً على عقب، وصار شهر الصيام مناسبة لزيادة الأطعمة الدسمة، والمعجنات، والحلويات، وغيرها.

وينشغل ضعاف الإيمان، وأعداء الإسلام بهذه الصورة، لإلصاق التهمة بالمسلمين أولاً، وبالإسلام ثانياً، ويكررها كثير من المسلمين بحسن نية؟

والوقع أن هذه التهمة والشبهة فيها شيء قليل من الصحة، فكثير من الناس يطبقونها ويكثرون من الأطباق والأنواع والمقبلات والحلويات عند الإفطار، ويأكلون حتى التخمة ولا يستطيع الانحناء لارتفاع البطون على المستوى المعقول.

ولكن أرى أن معظم ذلك فرية وتهمة باطلة، وأن الحقيقة أن هذه صورة مشرقة للمجتمع الإسلامي، وتنبعث من الإيمان، ويدفعها الحرص على زيادة الأجر والثواب، وذلك بإطعام الفقراء والمحتاجين والمساكين والعمال والخدم، وتقديم الوجبات الشهية لهم، ولذلك توضع الموائد في المساجد، وعلى قاعة

الطريق، وفي الحدائق والفلل والبيوت، ويقصدها المعوزون المحرومون من الغذاء الكافي طوال العام، فينالون حظم في رمضان بصورة تبهج النفوس وتسعد القلوب، وتدخل السرور، وتلبي رغبة الرسول ﷺ أن من فطر صائماً كان له مثل أجره دون أن ينقص من أجر الصائم شيء، ومن فطر صائماً غفرت ذنوبه ومن سقى فيه صائماً سقاه الله من الحوض، فلا يظمأ أبداً.

ثانياً: الاستعداد النفسي والروحي لاستقبال رمضان:

ويتجلى ذلك بأمور كثيرة تقتصر على تعداد فضائل رمضان للتهيؤ لها، وللتعرض لنفحاتها، وإن رمضان له فضائل عديدة تكاد أن لا تحصى، وأهمها:

١- أفضل الشهور عند الله تعالى.

٢- شهر القرآن، بدأ نزوله به، وهو شهر التلاوة من الرسول ﷺ مع جبريل، ومن الناس عامة.

٣- فيه ليلة القدر، وهي خير من ألف شهر، وسن قيامها خاصة دون غيرها.

٤- شهر الرحمة من الله بعباده، ورحمة الناس بعضهم بعض، فالراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، والحديث «أوله رحمة، ووسطه مغفرة، وآخره عتق من النار».

٥- شهر العبادة والصيام وغيره، ومنها الاعتكاف في العشر الأخير منه، بل حتى التفرغ الكامل للعبادة، كما كان يفعل السلف الصالح.

٦- شهر الدعاء، فقال تعالى في أوسط آيات الصيام: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

٧- شهر الجهاد في سبيل الله.

٨- استجابة دعوة الصائم عند فطره، فلا ترد دعوته إذا أفطر، لحديث «للصائم عند فطره دعوة لا ترد».

٩- فيه فاكهة خاصة، وهي صلاة التراويح وقيام الليل، «وسننت لكم قيامه».

١٠- شهر العتق من النار.

١١- شهر الانتصارات الإسلامية في بدر وغيرها.

١٢- شهر الطاعة وتجديد العهد مع الله، ولذلك يكثر المصلون، وتكثر الجماعات.

١٣- شهر الإنابة والتوبة من الذنوب.

١٤- الثواب فيه بسبعين ضعفاً فيما عداه، والفريضة كسبعين فريضة فيما سواه، وثواب المندوب فيه كالفريضة في غيره.

١٥- شهر الجود والكرم والسخاء والعطاء.

١٦- رمضان يعوِّد على النظام عامة، وتنظيم الوقت خاصة.

١٧- شهر الصبر، وشهر المواساة للفقراء والمحتاجين، والضعفاء والمرضى والمساكين.

١٨- الصيام في رمضان له ثواب عظيم، لأنه سر بين العبد وربه، لما جاء في الحديث القدسي «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، وإن سابه أحد أو قاتله، فليقل إن صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه». ولذلك خصص

الله تعالى للصائمين باباً في الجنة اسمه (باب الريان) لا يدخل منه أحد إلا الصائمين إذا دخلوا أغلق وراءهم.

١٩- تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب النار، وتصفد الشياطين.

٢٠- شهر الوحدة الإسلامية وتوحد الشعوب الإسلامية بنظام واحد في السحور، والفطور، والتراويح، والعيد، ويحس المسلم من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب بشعور أخيه المسلم في صومه وإفطاره ودعائه.

٢١- شهر المغفرة من الذنوب للحديث عن رمضان «أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار» ولحديث «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

٢٢- شهر الصحة والعافية، لقوله ﷺ: «صوموا تصحوا».

◈ آداب الصيام:

١- تأخير السحور.

٢- تعجيل الفطور.

٣- الدعاء عند الإفطار.

٤- غض البصر، وحفظ اللسان، وإن شاتمك إنسان فقل إني صائم.

٥- الزيادة في أعمال الخير.

٦- إفطار الصائم، وسد عوز المحتاجين، والإكثار من الصدقات والمبرات وصلة الرحم.

◈ الخاتمة:

- ❖ اللهم بارك لنا في شعبان، وبلغنا رمضان.
- ❖ اللهم بارك لنا في رمضان، وكما أريتنا أوله فأرنا آخره.
- ❖ اللهم أعنا فيه على الصيام والقيام، وغض البصر وحفظ اللسان.
- ❖ اللهم اجعلنا من عتقاء شهر رمضان، واعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا من النار.
- ❖ اللهم ردنا إلى دينك رداً جميلاً.
- ❖ اللهم أنصر الإسلام، وانصر المجاهدين في كل مكان.
- ❖ اللهم أرحم أمواتنا، وأموات المسلمين، وأرحم الشهداء أجمعين.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

ثانياً: رمضان شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار

ورد في فضائل رمضان آيات كريمة، وأحاديث كثيرة، نعرض منها حديثاً واحداً قصيراً ومختصراً، وفيه جوامع الكلم، وهو: قال رسول الله ﷺ عن شهر رمضان: «أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار».

(١) فهذا هو شهر الرحمة من الله تعالى، وهو الرحمن بعباده، الرحيم بعبّاده.

- الرحمة التي يحتاجها الناس بشدة لضعفهم، ولذلك ننادي ونناجي الله بقولنا «يا أرحم الراحمين».

- إنها رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ...﴾ [الأعراف: ١٥٦].

- وهذه الرحمة تتضاعف للمؤمنين المتقين المحسنين قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

- لأن هؤلاء يرحمون غيرهم، فتكون رحمة الله قريبة منهم.

- ولذلك دعانا الله تعالى أن يرحم بعضنا بعضاً، قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».

- وحذر رسول الله ﷺ من ترك الرحمة، وأن من فعل ذلك يخسر رحمة الله تعالى، ويحرم منها، فقال عليه الصلاة والسلام: «من لا يَرحم لا يُرحم».

- ثم نادنا الله تعالى بعدم القنوط من رحمة الله فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ

جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٣٥].

وهذا ينقلنا إلى الشطر الثاني.

(٢) ورمضان شهر المغفرة من الذنوب:

- لأن الإنسان يخطئ كثيراً ويحتاج لمحو الخطأ وغفرانه «كل ابن آدم خطّاء وخير الخطائين التوابون» والصيام باب من أبواب التوبة، وفي رمضان يأمر الله الملائكة أن تستغفر للصائمن، في كل يوم وليلة.

- إن أعمال رمضان كلها عبادة مستمرة ومتنوعة، وكل ذلك سبيل لمغفرة الذنوب، قال رسول الله ﷺ: «واتبع السيئة الحسنة تمحوها، وخالق الناس بخلق حسن»، وقال: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

- والله سبحانه غفار الذنوب كما جاء بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

- وإن الدعاء أحد الوسائل المتعددة لمغفرة الذنوب، ويدعو الصائم وهو مستجاب الدعاء «اللهم اغفر لي يا غفور»، ويختم الصائمون شهرهم مغفوراً لهم، ويستلمون يوم العيد جوائزهم بذلك.

(٣) ورمضان شهر العتق من النار، وذلك نتيجة لما سبق، ولذلك تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب النار، وتصفد الشياطين.

اللهم تقبل منا الصيام والقيام، واجعلنا من عتقاء شهر رمضان مع والدينا والمسلمين.

ثالثاً: العشر الأواخر من رمضان

رمضان شهر الله تعالى، وهو أفضل الشهور على الإطلاق، وهو شهر الطاعة والعبادة، وشهر الورع والزهد والتقوى، وشهر القرآن الكريم، وشهر التقاء السماء بالأرض.

رمضان شهر الرحمة والمغفرة، وشهر الخير والبركة، وشهر التوبة وتكفير الذنوب والسيئات، وهو الموسم العظيم لدخول الجنة والعتق من النار.

رمضان شهر الصبر، وشهر التربية للإرادة والعزيمة، وشهر الإعداد الروحي والتدريب الجسمي، والسمو النفسي، والأخلاق الفاضلة.

رمضان شهر الجهاد في سبيل الله تعالى: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين، وجهاد المارقين عن دين الله وشرعه.

هذه بعض الصفات التي يحملها المسلم عن رمضان، ويأمل في رعاياتها وتحقيقها من الصيام في هذا الشهر المبارك، وكان رسول الله ﷺ يستقبل بها رمضان، فيقول عليه الصلاة والسلام: «أيها الناس: قد أظلكم شهر عظيم مبارك، فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثواه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يُزاد في رزق المؤمن فيه، من فطّر صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار...»[1].

---

(١) هذا طرف من حديث رواه ابن خزيمة في صحيحه، ورواه ابن حبان في الثـــواب، عن سلمان.

وهذه الصفات تتبلور في العشر الأخير من رمضان، لأن الأمور بخواتيمها، ولذا كان العشر الأخير هو قمة ما في هذا الشهر من المعاني والقيم، والوسائل والأهداف، وفيه يقطف الصائم ثمار الشهر كاملة، وهو الزهرة المتفتحة، والكوكبة المتقدة، والذروة الشامخة، تتكثف فيه الطاعات والعبادات، وفيه أفضل ليلة في العام، وكان رسول الله ﷺ خصّ رمضان كله بأحكام معينة، ثم يخصُّ العشر الأخير منه بهدي مأثورٍ، وسلوك محدد، وطاعات خاصة، ويهتم به اهتماماً زائداً، فيتفرغ فيه عن الدنيا وأعمالها وشؤونها.

ويعلم المسلمين ذلك، ويصحب أهله فيها، ويأخذ أصحابه عليها، ليصلوا إلى الهدف الأسمى من الصيام في تحقيق التقوى، والتعلق بالخالق، والتطلع إلى الجنة، والترفع عن أدران المادة، وتطهر القلب من شوائب الحياة ومغرياتها ومفاتنها، وهذا ما دفعنا إلى الحديث عن صفات العشر الأخير وخصائصه وبعض أسراره.

أولاً: قيام الليل:

شرع الله قيام الليل على المسلمين لمناجاة ربهم سبحانه وتعالى تعبداً وخشوعاً، وذكراً لله وتقرباً، وتهذيباً للنفس وإعداداً، ويتأكد قيام الليل وفضله في رمضان عامة بصلاة

التراويح جماعة في المساجد، ويزداد نضارة وجمالاً وبهاءً في العَشْر الأواخر من رمضان خاصة بالتراويح والتهجد في البيت والمسجد، ومع الأهل والولد، وكان رسول الله ﷺ ينشط في العشر الأخير من رمضان، فيحيي لياليه بالصلاة والتلاوة والذكر والشكر، ويوقظ أهله ليشاركوه في الخير والدعاء والإحياء، فيربيهم على مرضاة الله تعالى، فقد روت السيدة عائشة

رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيى الليل، وأيقظ أهله، وجدَّ وشد المئزر»[1].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[2]، وقال عليه الصلاة والسلام عن رمضان: «إن الله فرض لكم صيامه، وسننت لكم قيامه»[3].

والقصد من قيام مضان أن يتم الانسجام الكامل في حياة المؤمن، ويكون ليله متكاملاً مع نهاره، في رياضة روحية كاملة، يصوم النهار ويقوم الليل فيغفر الله ذنوبه كاملة.

ثانياً: الاعتكاف:

وهو الانقطاع للعبادة ولزوم المسجد بنية الطاعة قولاً وفعلاً، ليزداد قرباً إلى الله تعالى، وتفرغاً لشؤون الآخرة، وتزكية للنفس، وتطهيراً للقلب، وغذاء للروح، ويتأكد الاعتكاف في العشر الأخير من رمضان الذي يعتبر أنسب الأوقات للاعتكاف والتفرغ للعبادة في الليل والنهار، وفي الزمان والمكان، فالمؤمن صائم بالنهار، قائم بالليل، مقيم في المسجد، منقطع عن الحياة والأهل والمال والولد، متجه بقلبه ولسانه وجسمه إلى ربه، يشغل لسانه بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن، ودراسة العلم، ويوجه قلبه إلى مراقبة الله تعالى، والتفكر في آلائه، والشكر على نعمائه، والاستعدد إلى لقائه، ويكثر من الدعاء والاستغفار، والذكر والتسبيح، والصلاة على رسول الله.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

وكان رسول الله ﷺ يمكث في المسجد في العشر الأخير من رمضان، ولا يخرج منه إلا لحاجة ضرورية، ويكثر من الصلاة حتى تتورم قدماه الشريفتان، ولا يفتر عن ذكر الله وعبادته، فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان»[1]، وتصف ذلك السيدة عائشة رضي الله عنها فتقول: «كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه بعده»[2]، وقالت أيضاً: «كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً»[3]، وذلك استعداداً لقاء ربه، وحثَّ رسول الله ﷺ على الاعتكاف في رمضان، ورغب فيه، وشجع على القيام به، فقال عليه الصلاة والسلام: «من اعتكف عشراً من رمضان كان كحجتين وعمرتين»[4]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان معتكفاً في مسجد رسول الله ﷺ، فقال: سمعت صاحب هذا القبر، والعهدُ به قريب، فدمعت عيناه، وهو يقول: «... من اعتكف يوماً ابتغاء مرضاة الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق، أبعد مما بين الخافقين»[5].

وبيّن رسول اله ﷺ ثمرة تلاوة القرآن، وآثار مدارسته في المسجد، وفضل الذكر في الاعتكاف فقال عليه الصلاة والسلام: «... ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه البيهقي عن الحسين.

(٥) رواه الحاكم وصححه والبيهقي والطبراني في الأوسط.

السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده...»[1]، وكان رسول الله ﷺ يأمر بخباءٍ فيضرب له في المسجد يخلو فيه بربه عز وجل.

يقول العلامة ابن القيم مبيناً الحكمة من الاعتكاف: «وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى، وجمعته عليه، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق، والاشتغال به وحده سبحانه، وبحيث يصير ذكره وحبُّه والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بَدَلها، ويصير الهمّ كله به، والخطرات كلها بذكره، والتفكر في تحصيل مراضيه، وما يقرب منه، فيصير أنسه بالله بدلاً من أنسه بالخلق، فيعِّدُه بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور حين لا أنيس له، ولا ما يفرح به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم»[2].

ثالثاً: ليلة القدر:

إن من الثابت شرعاً أن لله نفحات ومناسبات يفتحها لعباده رحمة بهم، وشفقة عليهم، ثم يحثهم على التعرض لها والاجتهاد فيها، لتشملهم الرحمة والرعاية والعناية الإلهية، وإن الله تعالى فضل بعض الأماكن على بعض كالحرمين الشريفين وبيت المقدس والمساجد، وفضل بعض الأوقات على بعض كالعيدين والعشر الأوائل من ذي الحجة، ومن الأوقات المفضلة عند رب العالمين شهر رمضان المبارك عامة، والعشر الأخير منه بشكل خاص، فقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وفي العشر الأخير من

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد عن أبي هريرة.

(٢) زاد المعاد لابن القيم ١/٣٢١.

رمضان ليلة القدر التي اختص الله تعالى بها هذه الأمة، وأنزل الله فيها القرآن الكريم، وورد في شأنها ومكانتها وفضلها الشيء الكثير، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ١-٥].

فليلة القدر خير من ألف شهر، تتنزل فيها الملائكة بإذن ربهم، وهي سلام وعدل، وسعادة ورحمة حتى مطلع الفجر، ورغب رسول الله ﷺ بتحري ليلة القدر، وحث أصحابه والمسلمين على ذلك في الليالي المفردة منه، قال عليه الصلاة والسلام: «تحرُّوا ليلة القدر في الوَتْر من العَشْر الأواخر من رمضان»[1].

ويُسنُّ في هذه الليلة خاصة الإحياء والقيام والاعتكاف وأداء الأعمال الصالحة والدعاء لأن العمل الصالح فيها خير من عمل ألف شهر، وأن النبي ﷺ «كان يجاورُ في العشر الأواخر من رمضان، ويقول تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»[2]، فيحث أصحابه والمسلمين على تحري هذه الليلة في الليالي المفردة منه، وقد تكون في الغالب ليلة السابع والعشرين من رمضان، وقد تنتقل من ليلة إلى أخرى، ويكمن إبهامها ليعمل المسلم في سبيلها طوال العشر الأخير من رمضان، ويقوم الليل ويكثر من الدعاء رجاء موافقة ليلة القدر، وقد ثبت في شأنها عن رسول الله ﷺ: «من قام ليلة القدر

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[1]، ويستحب فيها الدعاء المأثور: «اللهم إنك عفوٌّ، تحبُّ العفو فاعفُ عني يا كريم»[2].

وهكذا نلاحظ أن المسلم يصل إلى قمة السعادة والنشوة في ليلة القدر، ولذلك طلب منه أن يكون صائماً في النهار، وقائماً في الليل، ومعتكفاً في المسجد، ليتهيأ لبركة هذه الليلة العظمية، وليحظى بأجرها العميم، وثوابها الجزيل، وفضلها الكبير.

رابعاً: الفوز بالجنة والعتق من النار:

ويتصف العشر الأواخر من رمضان أنه شهر الفوز بالجنة، والحصول على مرضاة الله تعالى، لمن صام مخلصاً لله، مراقباً له، ملتزماً بآدابه، محققاً لأهداف الصيام التي حددها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فالتقوى هدف القيام وغايته، ومتى تحققت التقوى لصاحبها نال الأجر العظيم، وحصل على الجائزة الكبرى، وهي العتق من النار، ليدخل الجنة بصفاء وطمأنينة، لما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال عن رمضان: «أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار»[3]، ويجمع الصائم في آخر رمضان بين الرحمة من ربه، والغفران لذنوبه، والرضوان عند خالقه، ولذلك ترفع الملائكة في رمضان رايات الخير، وتنادي في السماء: «يا باغي الخير

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي عن عائشة، وقال حديث حسن صحيح.

(٣) هذا جزء من الحديث الأول عن سلمان.

أقبل، ويا باغي الشر أقصر»[1]، وأن «الصيام جُنَّة»[2] أي وقاية وستر وحجاب من الذنوب والمعاصي، ومانع من الرفث والآثام، وحاجز من النار، ويصبح الصيام عملاً خالصاً لله تعالى، ليجزل لصاحبه العطاء، لما ثبت في الحديث القدسي الصحيح: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجز به»[3]، وأن الله تعالى أعدَّ للصائمين باباً في الجنة يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، فإذا أغلق فلا يدخل منه أحد[4].

خامساً: صدقة الفطر:

شرع الإسلام الصدقة والزكاة لإقامة التكافل، وتأمين حاجة الفقراء والمساكين ويحس المؤمن بأخيه لتطهير النفوس من التعلق بالمادة والدنيا وزينتها ومفاتنها، وتزكيتها من الذنوب والسيئات، وتأمين حاجة الفقراء والمساكين، وإقامة التكافل الاجتماعي، وليحسَّ المؤمن بأخيه، ومن ذلك صدقة الفطر التي تجب في آخر يوم من رمضان، وأجاز الفقهاء تعجيل دفعها خلال شهر رمضان.

وبيّن رسول الله ﷺ حكمها وحكمتها، فجاء في الحديث الشريف «أن رسول الله ﷺ فرض زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين»[5]، فهي طهرة للصائم مما قد يقع منه من اللغو وفلتات اللسان

---

(١) رواه الترمذي والنسائي والحاكم.

(٢) هذا جزء من حديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي.

(٥) رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم.

وصغائر الذنوب، وهي عون للفقراء والمعوزين، ولذلك تجب على كل مسلم، يملك ما يزيد عن حاجته، ويلزم البالغ العاقل أن يخرجها عن نفسه وعمن تلزمه نفقته، ليشيع الخير بين المسلمين في شهر الخير، وتتم المواساة من الأغنياء للفقراء، ويتحقق التعاطف والمودة والإخاء بينهم.

والحكمة من مشروعية صدقة الفطر في نهاية رمضان أن الصيام للإعداد والتربية والتهذيب، والترفع عن المادة، والاستعداد ليوم القيامة، فطلب من الصائم زكاة الفطر لتكون برهاناً ذاتياً لصحة الصيام، واختباراً لنفس الصائم في نجاح التربية، وتهذيب الروح، وصدق الإيمان، ومحك التجربة للتخلص من سلطان المال وهيمنة المادة مع الثقة الكاملة بما عند الله، ولذلك كان رمضان شهر البر والجود والإحسان والخير، وكان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، فكان أجود من الريح المرسلة.

نسأل الله تعالى أن يقبل منا صيامنا وقيامنا، وصلاتنا وطاعتنا، وأن يجعلنا ممن يصوم رمضان، ويقوم ليله إيماناً واحتساباً. والحمد لله رب العالمين.

رابعاً: الصيام[1]

يعلّم تنظيم العمل ويدّرب عليه

الصيام ركن من أركان الإسلام الخمس، قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج»[2].

والصيام واجب وفرض في شهر رمضان المبارك، مرة في السنة، ليكون دورة تدريبية، ومناسبة تأصيلية، وتوثيقاً للصلة بالدين والعقيدة، واستمراراً للعبودية، وتمريناً على السلوك القويم، وتجديداً للإيمان، وزيادة في الطاعة، والتزاماً للعبادة، وإتماماً لحسن السلوك والأخلاق، ونشوة روحية، ونفحة ملائكية.

والصيام عبادة من العبادات الإسلامية، وله أحكامه وآدابه، وخصائصه وميزاته، وعاداته وقيمه العليا، وتقاليده الاجتماعية، وطرازه الفريد، طوال شهر رمضان المبارك، وفي مختلف البلدان، وعلى الصعيد العربي والإسلامي، والمحلي والعالمي.

وهذا الصيام له أهدافه الكثيرة: العقدية، والروحية، والنفسية، والاجتماعية، والصحية، والتربوية، ونخصص هذا المقال للجانب التربوي في تنظيم الأعمال للمسلم في الحياة عن طريق الصيام.

إن النظام أمر أساسي وضروري وحيوي في الحياة، وإن التنظيم هو

---

(١) النور- العدد (١٦٦) رمضان ١٤١٩/ ديسمبر ١٩٩٨ ص١٦.

(٢) رواه البخاري (١٢/١ كتاب الإيمان، باب الإيمان وبني الإسلام على خمس)، ومسلم (١٧٧/١) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

الأساس في نجاح الأعمال، وهو الجوهر في كمال الأداء، في مختلف الجوانب: الدينية، والعلمية، والسياسية، والإدارية، والتعليمية، والمشاريع الاقتصادية والتنموية والعمرانية، وحتى في الشؤون الخاصة والأعمال المنزلية، لذلك كان النظام أو التنظيم هو السر في نجاح جميع الأعمال، حتى قيل: (إن كل مشروع، أو مخطط، أو عمل، ليس له نظام زمني محدد فهو مشروع فاشل).

ودعا الإسلام العظيم إلى النظام والتنظيم، وطلب من المسلم تنظيم شؤون حياته، وحرص على تسديد خطاه وإرشاده إلى الطريق الأقوم، وشرع له من الأحكام العديدة التي تدربه على النظام، وتساعده على تنظيم الأعمال، وترشده إلى المنهج السديد في إدارة الأعمال، وتنفيذ المشاريع، وإتقان العمل.

وتأتي العبادات كإحدى الوسائل المهمة الرئيسية التي ترشد إلى حسن التنظيم، ودقة النظام، فجاءت الصلوات منظمة في أوقاتها، وأدائها، وحركاتها، وأحكامها، وجاءت الزكاة منظمة للأموال، وضبط رأس المال، ومعرفة الناتج، وحصر الأرباح لاستخراج النسبة المفروضة شرعاً، والجزء المقدر المحدد لها، ويأتي الحج في قمة النظام الفردي والجماعي ليسير الناس وفق نظام مرسوم، ويؤدوا مناسك الحج والعمرة بنظام محدد، وتنظيم جماعي فريد دقيق، لا يصح الحياد عن جزء منه، ولا الانفراد عن الجماعة في حكم من أحكامه.

وفي إطار هذا المنهج الإسلامي شرع الله تعالى الصيام، وجعله أحد الوسائل المهمة والحساسة في تربية المسلم، وتعويده على النظام، ودعوته إلى حسن التنظيم والتخطيط، ليقبل الله منه العبادة والعمل، وليستفيد الصائم من صيامه، ولتتحقق الأهداف المتنوعة من الصيام، وليكون التنفيذ صحيحاً، والأداء كاملاً.

ويظهر أثر الصيام في تنفيذ الأعمال في عدة جوانب، منها:

١- بدء الصيام وانتهاؤه:

يبدأ الصيام الواجب وفق نظام إلهي، وتنظيم رباني للكون في مسيرة الشمس والقمر، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٨-٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢].

فشرع الله الصيام مقترناً بأول يوم من شهر رمضان المبارك من كل عام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ...﴾، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥].

أي كتب عليكم الصيام أياماً معدودات في شهر رمضان، وبيّن ذلك رسول الله ﷺ بياناً شافياً، قال عليه الصلاة والسلام: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غُمّ عليكم فأكملوا العدة، ولا تستقبلوا الشهر استقبالاً»[1].

---

(١) رواه البخاري (٦٧٤/٢) طبع دار القلم، ومسلم (١٨٨/٧، ١٩٧ مع شرح النووي)، ورواه الترمذي وقال حسن صحيح (٣٩٦/٣ مع تحفة الأحوذي)، والنسائي بإسناد صحيح (١١٠/٤ طبع البابي الحلبي) عن ابن عباس وابن عمر وغيرهما رضي الله عنهم.

وربطُ الصيام بأول رمضان، وانتهاؤه بآخره، دعوة مُلحّة ومُلزمة للمسلمين لتنظيم الأوقات، وتتبع أوائل الشهور برؤية الهلال، فيجب الصيام لرؤية هلال أول يوم من شهر رمضان، ويجب الإفطار لرؤية هلال أول يوم من شهر شوال، حيث ينتهي رمضان، ويمتنع الصيام، وتجب المشاركة في الاحتفال بيوم العيد، ويحرم الصيام فيه، وذلك للدقة في التنظيم، فلا يجوز لمسلم أن يزيد صيام يوم على شهر رمضان، ولا ينقص منه يوماً، للتعويد على النظام السنوي في إدارة الأعمال، وللإيحاء أن سنة كاملة من عمر الإنسان قد انقضت، واقترب سيره إلى نهاية المطاف وآخر العمر، ليستعد للقاء ربه، ويتخذ من الدنيا مزرعة للآخرة، وليحاسب نفسه قبل أن يحاسب، وهذا التنظيم السنوي للعبادة هو الأساس الإسلامي الذي سبق العالم في اعتبار السنة محوراً للأعمال، سواء بالنسبة للأفراد، أم للجماعات، أم للدول.

ولمزيد من الدقة المتناهية حرّم الإسلام صيام يوم الشك الذي يسبق شهر رمضان، لما روى أبو داود والترمذي عن عمار ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من صام يوم الشك الذي يُشكّ فيه فقد عصا أبا القاسم»[1]، حتى لو صام المسلم يوم الشك عن رمضان لم يصح، لقوله ﷺ: «لا تستقبلوا الشهر استقبالاً»[2]، ولو صام الشخص في يوم الشك عن فرض عليه كُره وأجزأه، وإن صام عن تطوع، دون أن يصله بما قبله، ولا وافق عادة له، لم يصح، لأن

---

(١) رواه أبو داود (١/٥٤٥ طبع الحلبي)، والترمذي وقال حديث حسن صحيح (٣/٣٦٦).

(٢) هذا حديث صحيح، رواه النسائي من رواية ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد صحيح (٤/١١٠).

التطوع بمجرد قربة، فلا يحصل بفعل معصية، وإن وافق عادة له جاز، لما روى أبو هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لا تقدَّموا الشهر بيوم ولا بيومين إلا أن يوافق صوماً كان يصومه أحدكم»[1]، وهو تدريب على الطاعة والنظام كأن الصائمين جند يتدربون، وطلاباً يتعلمون.

وهذا منتهى الدقة في النظام والتنظيم الذي يجب على المسلم التزامه والتعود عليه، واتخاذه منهجاً في الحياة، وبرنامجاً للأعمال، وهو نظام واحد للمسلمين جميعاً مهما اختلفت الأزمان والأماكن في كل قطر، وفي كل عصر، وعلى كل فرد أو شعب.

٢- النظام في الإمساك عن المفطرات:

إن الصيام هو الامتناع عن الطعام والشراب والقرب من النساء ابتداء من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ولولا الصيام لما امتنع الإنسان عن ذلك، مهما كان نظامياً، لأن الإنسان كثيراً ما يخرق نظام حياته في الطعام والشراب والجماع، فيزيد وينقص، ويخلط ويبدد، ويُفرط ويُفرّط، وقد يأكل كثيراً، وعدة مرات حتى يصاب بالتخمة والأمراض، ويرهق جهاز الهضم، ويتعب المعدة، وتتكدس في جسمه الشحوم، وقد يفتقر آخرون إلى ما يسد جوعهم، ويقوّت جسدهم، ويقوي نموهم، فيأتي الصيام منظماً لتناول الطعام، وتحديد الأوقات، وضبط المواعيد، وتعيين المقدار، والسعي إلى العدل والاعتدال في صرف الغذاء الزائد إلى الفقراء والمساكين والجائعين، لسد جوعهم، وإدخال الفرحة إلى نفوسم وأولادهم، وتغذية أطفالهم وأجسادهم،

---

(١) رواه البخاري (٦٧٦/٢)، ومسلم (١٩٤/٧)، وأبو داود (٥٤٥/١) والترمذي (٣٦٣/٣)، والنسائي (١٢٢/٤).

وهذا ما يلمسه المسلم في شهر رمضان في معظم البلدان والأقطار الإسلامية، حتى يكوّن مظهراً اجتماعياً فريداً، لا وجود له في المجتمعات غير الإسلامية، والبلاد الأخرى، وتوضع الموائد والمناسف ومختلف الأطعمة في الشوارع أمام البيوت، وفي صحون المساجد، وردهات المناطق العامة، وتبادل الأطباق، تنفيذاً للتوجيه النبوي الرائع: «من فطر صائماً فله مثل أجره، ولا ينقص من أجر الصائم شيء»[1].

وقال تعالى في محكم التنزيل، محدداً هذا النظام الفريد: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ...﴾، ﴿... وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ ...﴾ [البقرة: ١٨٧]، فنظم الصوم العلاقة بين الزوجين، وضبط السلوك الغريزي بينهم، دون إفراط أو تفريط، أو عبث أو كبت.

وبهذه الطريقة الربانية تنظم أعمال المعدة، ويدخل الطعام سائغاً، هنيئاً، مريئاً على العصارة المعدية، وخاصة إذا التزم المسلم بآداب الصيام الشرعية الواردة في السنة النبوية بالإفطار على تمرات، أو تناول الماء، ثم أداء صلاة المغرب، ثم تناول وجبة الطعام المعتدلة، دون إسراف، ولا تبذير، ولا تنويع متعب مادياً ومعنوياً وجسدياً، مع ترك الإصرار على تناول المأكولات الدسمة، والحلويات المعقدة والمتعبة في تركيبها، مع تطبيق السنة النبوية في

---

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (٣/٥٣٣)، وابن ماجه (١/٥٥٥ طبع عيسى البابي الحلبي)، والنسائي وغيره عن زيد بن خالد الجهني ﷺ.

تناول السحور، لأن في السحور بركة (وهو وقت السحر)، وفي الطعام والشراب عون للصائم على تحمل أعباء الجوع والعطش طوال نهار رمضان، ويكون السحور خفيفاً، ولو لقيمات، أو بشرب الماء والعصير.

فإن نظّم الصائم طعامه وشرابه طوال شهر رمضان تمتع بصحة جيدة، لقوله ﷺ: «صوموا تصحوا»[1]، وزالت الترسبات في جهاز الهضم، وتحللت الشحوم المتكدسة في البدن وسائر الجسم، وشعر الصائم بالراحة والنشاط والحيوية، وتعوّد على الطاعة أولاً حتى عن تناول الأطعمة الحلال في نهار رمضان، وبالأولى أن يمتنع عن تناول المحرمات والمضار والمفاسد في شهر رمضان، وفي طوال العام، فينجو بنفسه عن المعاصي، والسموم، ومسببات الأمراض، والوهن، ليكون صحيح الجسم، صحيح العقل، صحيح التفكير، صحيح الروح والدين.

٣- التنظيم الجماعي العام في الصيام:

هذا النظام في الطعام والشراب والجماع ليس تنظيماً فردياً فحسب، أو مقصوراً على ذات الشخص فقط، أو مع عائلته، بل هو تنظيم عام لجميع أفراد المجتمع والأمة، فيأكلون في وقت واحد، ويفطرون في وقت واحد، ويمسكون في وقت واحد، ويستعدون للطعام في وقت واحد، وتجد هذه الظاهرة الفريدة، الغريبة، الرائعة، في كل مساء من أيام رمضان، فيقف الملايين عند الغروب، والماء في أيديهم، والطعام أمام أبصارهم، ينتظرون لحظة الأذن والإفطار، أو ما

---

(١) رواه أحمد عن أبي هريرة ﷺ (٢/٣٨٠)، والطبراني، وأبو نعيم في الطب وغيرهم، بلفظ «سافروا تربحوا، وصوموا تصحوا، واغزوا تغنموا» وبألفاظ أخرى (كشف الخفاء ١/٥٣٩ طبع حلب).

يسمى ضرب المدفع، أو إعلان المؤذن ذلك في المنارة والمآذن، والمذياع والتلفاز، ليفطروا معاً في آن واحد، وقريب من ذلك موقفهم في السحور، وقبيل الفجر، ثم الإمساك، فلا ترى بعده طاعماً ولا راوياً.

وفي ذلك تعويد للمسلمين على النظام العام، والتنظيم الجماعي، والوقوف معاً يداً واحدة، وصفاً واحداً في جميع شؤون الحياة في الراحة والعمل، والنوم واليقظة، والطعام والإمساك، والسرّاء والضرّاء، وسائر التصرفات، فلا تختلط بهم المشارب، ولا تفرقهم المنازعات، ولا تدمرهم الخلافات، ولا تشتت شملهم الأغراض الخاصة والتروات، أو الأهداف القصيرة، والمصالح الذاتية، والمطامع الدنيئة، ليكونوا معتصمين بحبل الله المتين، ونوره المستبين، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وبذلك يكون المسلمون كمثل الجسد الواحد.

وإذا أصبح المسلمون صفاً واحداً في الطاعة والعبادة، والأعمال والتصرفات في الداخل، فأولى أن ينظموا أمورهم، ويكونوا أشد تماسكاً أمام الأعداء والطامعين بهم، والأمم المتربصة لاقتناصهم.

٤- النظام والتنظيم في صلاحة التراويح:

عندما يفطر الصائمون بعيد الغروب من كل يوم، وتبتل العروق، وتشبع البطون، وتنتعش الأرواح في الأجساد، ويسعد الأهل مع الأولاد والأحبة والأقارب والزملاء وذوو الأرحام والجيران والضيوف، ثم يرتاحون ساعة من الزمان، يتجه الجميع زرافات ووحداناً إلى بيوت الله، يؤمّون المساجد، وخاصة المساجد الثلاث المقدسة الكبرى، والمساجد الجامعة، ليقفوا صفوفاً

متراصّة لأداء صلاة فريضة العشاء أولاً، ثم يرتقون نفسياً وجسدياً، ويتصعّدون روحياً في صلاة فريدة، هي صلاة التراويح جماعة، التي تعتبر فاكهة خاصة لرمضان، ولا توجد في غيره، وتشبه صلاة الجمعة في التجمع والجماعات، وتضارع أعداد المصلين فيها أعداد المصلين في الجُمُعات، مع ما فيها من روحانية خاصة، وسماع لتلاوة القرآن من الإمام، وهو أفضل أنواع التلاوة، مع الركوع والسجود والقيام المتوالي والمتواصل، وكأنهم (سيمفونية) ملائكية، لأن الملائكة تحفهم، وتبارك صلاتهم وجماعتهم.

وهذه الصلاة تأكيد آخر على روح التنظيم الجماعي للمسلمين، وضبطهم في صفوف وحركات، ومناسك، وعبادة، وأعمال، لتكون رائداً لهم من العبادة إلى سائر شؤون الحياة.

٥- التنظيم في قراءة القرآن في رمضان:

إن شهر رمضان شهر القرآن، فيه بدأ نزوله، وكان جبريل عليه السلام يعرض القرآن كاملاً على رسول الله في شهر رمضان، وقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

لذلك يحرص الصائمون على تخصيص أوقات خاصة لتلاوة القرآن، ويحرصون على ختمه مرة ومرات خلال هذا الشهر الفضيل، لأن من أدى فيه فريضة فكأنما أدى سبعين فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه نافلة (سنة ومندوباً وتطوعاً وقربة) فكأنما أدى فريضة فيما سواه، والفرائض أفضل تقرّب لله تعالى، كما ثبت في الحديث القدسي عند البخاري، ولذلك تجد المسلم العادي ينظم أوقات تلاوة القرآن، ويقرأ كل يوم جزءاً، ليختم القرآن مع أيام

رمضان، وكثيراً ما يزيد في التلاوة، وخاصة في ليلة القدر في السابع والعشرين من رمضان.

كما يقوم الأئمة بتنظيم التلاوة في الصلاة الجهرية في شهر رمضان، وخاصة صلاة التراويح ليقرؤوا ما تيسر من القرآن في كل ركعة، ويُنصت المصلون لقراءته، وتغرد قلوبهم لألفاظه، وتحلق أرواحهم بمواعظه وتوجيهاته.

ولا يقتصر تنظيم المسلمين في قراءة القرآن في شهر رمضان على مجرد التلاوة والسماع، بل ينظمون الجلسات والحلقات لتدبر القرآن وفهمه، وحضور دروس القرآن وتعلّمه، وتزداد البرامج الدينية، وتكتظ المساجد في دروس التعرف على أحكام القرآن، يتلمّسون الفضائل التي بيّنها رسول الله ﷺ بقوله: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[1].

٦- الصيام لتنظيم الوقت والعمل:

الوقت هو الحياة، وهو رأس المال الحقيقي للإنسان، ورغّب رسول الله ﷺ في اغتنام الوقت في أحاديث كثيرة، لا مجال لذكرها هنا، والعاقل هو الذي ينظم أوقاته ليستفيد منها، وينجز أكبر قدر ممكن من أعماله، حتى أصبح تنظيم الوقت في عصرنا الحاضر علماً وفناً مستقلاً، ويعين كبار المسؤولين، والموظفين، ورجال الأعمال، موظفاً ومديراً لأعمالهم، وسكرتيراً لتنظيم الأوقات، لإمكان إنجاز أكبر قدر من الأعمال فيها.

---

(١) رواه مسلم (٢٢/١٧) جزءاً من حديث أبي هريرة ﷺ، ورواه أبو داود مستقلاً، وهذا أوله عنده (٣٣٦/١)، وكذا عند ابن ماجه (٨٢/١).

والصيام أحد العوامل الشرعية التي تساعد على تنظيم الوقت، والاستفادة منه بشكل كامل، ومفيد، ومُجدٍ، ليكيّف الصائم ظروفه، ويبرمج أعماله، ويحقق الإنجازات الكثيرة والمتنوعة، المادية والمعنوية، في سائر مجالات العمل الروحي، والثقافي، والنفسي، والعلمي، والجسدي، والتجاري، والصناعي، وفي الوظيفة، والمتجر، وفي المصنع، والحقل، والبستان، وفي المدرسة والمعهد والجامعة.

إن الصيام في شهر رمضان يساعد على تنظيم العمل، ويحدد ساعات الإنتاج بمقدار أكثر من غيره، لأن الصائم يوفر وقت الطعام للعمل والعبادة، وينشط الجسم تلبية له، ولذلك كان عطاء الصحابة في رمضان عظيماً، وتحققت في شهر رمضان أعظم الانتصارات في الجهاد الإسلامي والفتوحات في التاريخ.

وإن تحديد أوقات الطعام والشراب -قبل أربعة عشر قرناً- دعوة صريحة وربانية لوجوب تنظيم سائر شؤون الحياة، وتحديد أوقات العمل، وأوقات الراحة، وأوقات الدوام، كما أنها دعوة للتنظيم الجماعي بين الناس في أعمالهم، وعباداتهم، وزياراتهم، وإنتاجهم.

وعند التطبيق الصحيح لأحكام الصيام وآدابه يزداد الإنتاج والعطاء، خلافاً لما يشيع عند بعض الصائمين من الكسل والخمول، وقلة الإنتاج والعطاء، مع كثرة النوم، وتعطيل العمل، فيكون المردود عكس المطلوب شرعاً، ويفتح الباب أمام أعداء الله والدين للطعن في الصيام والتشكيك فيه.

ومن ثمار الصيام في تنظيم الوقت والعمل، ومن آثاره المباشرة الملموسة، اليوم وخلال التاريخ الإسلامي، أن جماهير المسلمين الصائمين ينظمون زكاتهم،

ويرصدون أموالهم، ويحصون أرباحهم وتجارتهم في شهر رمضان المبارك، لإخراج فريضة الزكاة في هذا الشهر المبارك، طمعاً بفضله وزيادة الثواب فيه على الأعمال الصالحة، وأداء الفرائض، والنوافل فيه، تقرباً لله تعالى.

وهذا الهدف من الصيام في تنظيم الأعمال يتحقق بشكل كامل في الصيام المفروض الواجب في شهر رمضان، ويتحقق جزئياً ونسبياً في صيام القضاء والنذر والكفارة خارج شهر رمضان، كما يتحقق بشكل طيب في صيام النفل والتطوع الذي رغّب فيه رسول الله ﷺ في يومي الاثنين والخميس، أو صيام ثلاثة أيام البيض من منتصف كل شهر عربي، وهذا من فضل الله تعالى الذي يستدعي الاعتراف بالفضل، وكثرة النعم، وإتمام الدين، والهداية للإيمان والإسلام، ومن ثم يستوجب الشكر لله تعالى، والالتزام على منهجه ودينه وهديه.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا فهم دينه، ومعرفة مقاصده، وإدراك الأهداف والغايات التي شرعت العبادات من أجلها، وأن نستفيد من رمضان والصيام في تنظيم الأعمال، وجني الثمرات، وزيادة العطاء والإنتاج، وأن يتقبل منا الصيام، ويجعلنا من عتقاء شهر رمضان، لنكون ممن يصوم نهاره، ويقوم ليله، ويقدم الخير فيه لنفسه ودينه وأمته. والحمد لله رب العالمين.

خامساً: رمضان ظاهرة فريدة مع النفحات الرمضانية

الحمد لله رب العالمين، الذي أعزَّ عباده بالتعبّد له، وفتح لهم أبواب الطاعات والخيرات والمبرات، ليربحوا عليه.

والصلاة والسلام على رسول الله إمام المتقين، وسيّد العبّاد، وقدوة الصالحين والمتقربين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وبعد :

فإنّ **رمضان** شهر الخيرات والنفحات الإلهية، شهر البر والتقوى، شهر العبادة والتقرب، شهر العطاء والبذل والسخاء، شهر القرآن، شهر القيام والطاعة والزلفى إلى الله تعالى.

رمضان فضل إلهي، وعطاء رباني، ومنحة سماوية لأهل الأرض، هو أفضل الشهور عند الله تعالى، ميّزه على سائر الشهور بميزات كثيرة، وخصائص فريدة، وصفات خاصة.

ولذلك يعجز البيان عن وصفه، وإعطائه حقه، ويقصر الخطباء عن الإحاطة به، ويخرس اللسان أمام الواقع الذي يعيشه الناس عملياً في رمضان، فهو عملياً أبلغ من كل بيان.

إنه عالم خاص، ولون مستقل، له رائحته الزكية، وطعمه الشهي، ومذاقه الحلو العذب الزلال الجذاب الذي يعرفه من ذاقه، وينتشي فيه من عاشه.

يهلُّ هلال رمضان، ويحلّ الشهر المبارك، فيفرض نفسه، فلا يلحق به كلام أو بيان، أو مقال أو خطبة، أو ترغيب أو ترهيب، لأنه -بذاته وواقعه-

أقوى من ذلك وأبلغ، وأعمّ وأشمل، وأفصح من كل حديث، وأكثر تأثيراً من كل توجيه، وردت فيه آيات الذكر الحكيم، وفصّلت فيه أحاديث نبوية تنطق بجوامع الكلم، ومع ذلك فإنه يفرض نفسه بنفسه دون توجيه أو إرشاد.

لذلك كان رمضان ظاهرة فريدة من عدة جوانب:

➢**فرمضان ظاهرة اجتماعية** يعيشها أفراد المجتمع، الكبير والصغير، الغني والفقير، المحسن والمقتر، الرجل والمرأة، الصائم وغير الصائم، وتجتمع الأسرة الصغيرة على السحور والفطور، كما يجتمع الأقارب والأهل على الموائد، وتلتقي الجماهير في المساجد، ثم تتوسع اللقاءات في صلاة العيد، وينصهر المجتمع في يوم العيد، فيكون المجتمع واحداً في مظاهره وأعماله الدينية والدنيوية. ومن ثمَّ تتحقق وحدة الأمة بالشعائر من أقصاها إلى أقصاها.

➢**ورمضان ظاهرة دينية**، تسمو فيه شعائر الدِّين، فتأخذ بالألباب، ويقبل فيه العصاة إلى ربهم، ويتسامى الصّوام إلى بارئهم، ويعشق المتقون لقاء ربهم، ويخلو المعتكفون بالملائكة، ويلتزم الجماهير بالتديّن ظاهراً وباطناً، بمراقبة ذاتية إلهية ربانية، وتفتح لهم أبواب الجنان، وتصفّد الشياطين، ويخنس الأشرار، وتصفو الحياة من الشرور، وتجتمع فيه معظم أركان الإسلام من الشهادة والصلاة والصيام والزكاة والعمرة.

➢**رمضان ظاهرة روحية**، فتعود الروح إلى بارئها بالمناجاه، والدعاء في الشهر الذي توسطت آياته بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وهنا تأنس الروح بملائكة الرحمة، وتتجه إلى المساجد بالاعتكاف، وقيام الليل، والتسبيح والتذكير، والخوف، والرجاء، والطمع بجنات النعيم، وتبلغ الروح أسمى مناها في العشر الأخير، ثم في ليلة القدر، لتحيا روحياً

وكأنها بدون أجساد، وترقى في العشق الإلهي، والحياة الروحية المحضة، مع غفران الذنوب، وتنقية الصحف من الكدر، وصفاء القلب من الران، وكأنهم ولدوا من جديد، وتعتق رقابهم من النار، ويستعدون لرياض الجنة.

➢**رمضان ظاهرة اقتصادية** تلفت نظر التجار، ورجال الأعمال، والقائمين على التموين والمشرفين على عمليات البيع والشراء، فتنفق فيه الأموال، وتدخر له السلع الغذائية لتبسط على موائد الإفطار، وتستورد من أنحاء المعمورة، وتتحرك الأسعار، وتتضاعف الأرباح، فالتاجر ربحه مادي دنيوي، فإن قصد وجه الله فله نصيب وسهم في الآخرة أيضاً، والموسر الغني المعطاء ربحه أضعاف مضاعفة بالتجارة مع الله تعالى، وهل هناك أفضل من إطعام الطعام، وتأمين القوت للفقراء والمحتاجين، والمساكين والعمال والكادحين الذين يطوون الجوع طوال العام لتمتلئ بطونهم، وتتغذى أجسادهم في رمضان بأطايب الطعام والشراب، والفواكه واللحوم؟ فيكون الاقتصاد في قمة تحركاته.

➢**رمضان ظاهرة فكرية** بنشر الثقافة الإسلامية، وتوسع الصحف الدينية، والصفحات الإضافية بالفتاوى، والتوجيه والإرشاد، والوعظ، والبحث، والتغذية العلمية، وتتضاعف المجلات الدينية، وتتبختر بمواضيعها ومقالاتها، وتتفنن بعطائها وصورها واستطلاعاتها، وتكثر الدروس الدينية والرمضانية خاصة في المساجد والأندية وفي الإذاعات، والقنوات الأرضية والفضائية.

➢**رمضان ظاهرة قرآنية**، ففيه نزل القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وفيه بدأ نزوله على قلب سيدنا محمد ﷺ، وفيه تدارس جبريل عليه السلام القرآن مع الحبيب المصطفى، وفيه تختم التلاوة من معظم الناس، وفيه تكثر القراءة في الصلوات والتراويح والتهجد، ليكون القرآن أقرب

ما يكون عملياً إلى الناس، وتفتح المصاحف في البيوت والمساجد، وتعمل أشرطة القرآن الكريم ليل نهار، وتمتلأ صفحات القنوات الفضائية به.

➢**رمضان ظاهرة صحية**، فترتاح معدة الأغنياء والموسرين، وتتجدد الخلايا، ويأخذ الجهاز الهضمي إجازته السنوية، فيطرد الشحوم، وتنشط الأعضاء المساعدة في الجسم، تأكيداً لقوله ﷺ «صوموا تصحوا» وعودة إلى تطبيق المبدأ القرآني الخالد: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١].

بينما يتغذى الفقراء والمحرمون، ويأخذون حظهم المقّدر الذي افتقدوه، أو حرموه طوال العام، وتوضع لهم الموائد العامرة فيلتفون حولها بنهم وإقبال وشوق وسعادة، حتى يشاركهم كثير من غير المسلمين، وهكذا تتجدد خلايا الجسم، ويصبح في أحسن أحواله صحياً.

➢**رمضان شهر الأفراح والمسرات**، وذلك بفرحة المسلم برضاء الله، وتوفيقه للصيام والطاعة والعبادة، وفرحة الصائم حين يفطر، وفرحته بقبول صيامه ودخوله الجنة من باب الّريان الذي خصصه الله تعالى للصائمين، وفرحة التاجر بربحه مع ربه، وفرحة الفقير بغذائه وشبعه وثوابه، وفرحة الأقارب باجتماعهم، وعودة المسافرين والضاربين في الأرض إلى أوطانهم وأهلهم، ثم تأتي الفرحة الكبرى عندما تستقبل الملائكة القادمين إلى صلاة العيد، لاستلام جوائزهم، ثم تتم المصافحة، والتقبيل، والعناق، والدعاء، والبهجة، والضيافات طوال يوم العيد.

➢**رمضان ظاهرة أخلاقية وتربوية ونفسية**، فالصيام تهذيب للنفس، وتسام للأخلاق، وسمو للقيم، وارتقاء للفضائل، وكبح للهوى، وتربية اجتماعية وفردية، وصفاء للنفس من الأدران، فإن ساب الصائم أحدٌ قال بكل أدب وضبط للعواطف، وكبح للغرائز والشهوات، وترفع حتى عن

المعاملة بالمثل، قال جهراً: «إني صائم، إني صائم» فيكون كاظماً للغيظ، عافياً على الناس، مذكراً غيره بالفضائل والقيم والسلوك الرشيد.

➢**رمضان ظاهرة جهادية**، تبدأ من جهاد النفس، إلى جهاد الشيطان، إلى جهاد العلماء بالعلم، إلى جهاد الأغنياء بالأموال، إلى جهاد الشباب والمخلصين بقتال الأعداء، ومن ثمَّ إلى تحقيق الانتصارات، فكان رمضان شهر النصّر، وهذا ما سجله التاريخ الإسلامي، وما تحقق فيه من انتصارات باهرة وحاسمة في شهر رمضان، بدءاً من معركة بدر الكبرى، إلى فتح مكة، إلى معركة حطين، وعين جالوت، وغيرها من أهم الانتصارات التاريخية، لأن المؤمنين يبيعون أموالهم وأنفسهم لله تعالى القائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، ثم ينالون أعلى درجات الجنة بالشهادة ليكونوا مع الأنبياء والمرسلين، فلهم إحدى الحسنين: النصر أو الشهادة والجنة.

نسأل الله العلي القدير أن يبلغنا رمضان، وأن يبارك لنا فيه، وأن يعيننا على الصيام والقيام وغض البصر وحفظ اللسان، وأن يجعلنا من عتقاء شهر رمضان.

كما نسأل الله تعالى أن يردنا –والمسلمين– إلى ديننا رداً جميلاً، وأن يردنا إلى القرآن في شهر القرآن لتلاوته وتدبره وفهمه وتطبيقه والعمل به، لتتحقق لنا السعادة في الدنيا، ونسير على طريق النصر على الأعداء، وتحرير المقدسات.

كما نسأل الله تعالى أن يتقبل منا الصلاة والصيام والقيام وتلاوة القرآن،

وأن يرزقنا تذوق طعم رمضان، وتنسم عبيره، لنكون إن شاء تعالى من المرشحين لباب الرّيان في جنات النعيم، إنه سميع قريب مجيب.

كما نسأل الله تعالى أن يرزقنا الأنس الكامل بالقرآن، وتحقيق معناه عملياً، لنقيم المجتمع الإسلامي في الأرض، وننعم بالسعادة في الدنيا التي هي مزرعة للآخرة، فنكون عندئذ مسلمين حقاً، وصائمين صدقاً.

هذه المعاني السامية، والمشاعر الدينية والدنيوية دفعت الأخ الفاضل الأستاذ الشيخ **مروان وحيد شعبان التفتازاني**، إمام وخطيب مسجد جامعة الشارقة، إلى كتابة هذه النفحات الرمضانية، لتكون تصويراً للواقع، وتجسيداً للأفكار، وتذكيراً لعباد الله تعالى، ملتزماً بقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، ومنفذاً للحديث النبوي «الدِّين النصيحة» قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

وقد عرفنا الشيخ مروان طالباً في الجامعة، وباحثاً في الدراسات العليا، وخطيباً مفوَّهاً، وإماماً تقياً صالحاً في الصلاة، ونحسبه كذلك، ولا نزكي على الله أحداً، وما نقول إلا ما نعلم، مع حرصه على طلب العلم، والزيادة فيه، والانكباب على البحث، ومواصلة التعليم، والاندفاع لدين الله، والإخلاص لشرعه، والاستقامة في الحياة والعمل، والجرأة في قول الحق، والالتزام بالواجبات، وأداء الأعمال، والوفاء بالوعد، والحرص على الاستفادة والإفادة، ومتابعة العلماء ومجالستهم ومزاحمتهم، ومشاركتهم، مع تتبعه للانحراف، والغضب لله تعالى، والتذكير في كل مناسبة، مع حفظه للقرآن الكريم بشكل كامل ومتقن.

وقد استفاد الشيخ مروان من شيوخه وأساتذته في الجامعة، واستفاد من بحوثه التي شارك بها في بعض الندوات والمؤتمرات بكلية الشريعة والدراسات

الإسلامية بجامعة الشارقة، كما استفاد من بحوثه في الدراسات العليا، وتقديم بعض البرامج الإذاعية والتلفزيونية، واستفاد أكثر من كل ذلك من ممارسته للدعوة والإمامة والخطابة بمسجد الجامعة المتميز بحضوره وجمهوره من أعضاء هيئة التدريس والباحثين والطلاب، ومن يؤم المسجد من خارج الجامعة، استفاد من كل ذلك خبرة في الناس والمجتمع والدعوة والتوجيه والوعظ والإرشاد والكتابة، والربط بين القرآن والسنة والأحكام الشرعية والآداب الإسلامية وحاجة المجتمع والأفراد للتذكير والتوجيه والوعظ والإرشاد، وهذا ما دفعه لتتويج أعماله بكتابة هذه النفحات الرمضانية.

عرض الشيخ مروان هذه النفحات الرمضانية لتكون درساً لكل مسلم عامة، وعوناً للطالب، وتذكيراً للصائم والملتزم بأحكام دينه، وإرشاداً للباحثين، وتسجيلاً للمناسبات الرمضانية، ودعوة للغافلين عن الله، والسادرين في مشاغل الحياة، وكأن الدنيا هي غاية آمالهم، ومنتهى طموحهم.

ولذلك سار في ترتيب هذه النفحات مع أيام شهر رمضان ولياليه، ابتداء من استقباله، ثم بأسراره، وبيان أعظم الأحداث فيه بنزول القرآن والانتصار بغزوة بدر، وتحبيباً بليلة القدر.

ومروراً بالتجليات الإلهية على الصائمين الذاكرين، المتعلمين، العابدين، القائمين، المعتكفين، مع الدروس المستفادة من أيام رمضان ولياليه في استغلال الوقت والدعاء، والبذل والعطاء، والعفو والتسامح، والتكافل الاجتماعي، ومد يد العون لليتامى والمنكوبين، والإصلاح بين الناس، والتوبة والاستغفار، لتحقيق التقوى والاستقامة في رمضان، والتزود منه لسائر العام، إلى أن يصل إلى المشاعر الرقيقة -السعيدة والحزينة معاً- لوداع رمضان، وختم النفحات بفرحة العيد السعيد، وبهجته التي تعم الأرجاء، ويقبض فيها الصائمون

جوائزهم، ثم يتابعون سيرة العمر وسنة الحياة على هدى القرآن والسنة والتربية الإسلامية ليفوزوا برضوان الله تعالى وسعادته في الدنيا، وبالنعيم والجنة في الآخرة إن شاء الله تعالى، إلا من نكص على عقبيه وعاد القهقرى، وودَّع رمضان مع نفحاته وبركاته وأعماله ودروسه، ثم انغمس في ملذاته وشهواته وانحرافاته الفكرية والسلوكية، ليكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً وهدمت ما بنت، وأضاعت ما جنت، فأصبحت صفر اليدين، خاوية الوفاض، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإلا فئة أخرى أسوأ من تلك وهي التي لم تحس ولم تشعر بقدوم رمضان وانتهائه، ولم يلامس رمضان حياتها، فأفطرت في رمضان، وجاهر بعضهم بكل وقاحة بالفطر والهزء من الصيام، فكان مثلها ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥] ولا نملك لهؤلاء وأولئك إلا الدعاء بالهداية والثبات على الإيمان، والعودة إلى حظيرة الدِّين، ونردد قول الحبيب المصطفى «اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون».

وقد سيطر الأسلوب الخطابي على الموضوع، مع تحريك العواطف، وإثارة الأشجان، والترغيب بالخيرات الحسان، والتحذير والترهيب من التقصير والإعراض عن موائد الله تعالى في رمضان، مع طول الفقرات والإسهاب في العرض، وبعض التكرار، ونقص العناوين الجانبية التي تعين القرآن على التركيز، وتأخذ بيده للمتابعة.

وتمتاز هذه النفحات بأسلوب بديع، وتحسينات لفظية، وبلاغية، وغزارة الألفاظ المنتقاة، والثروة اللغوية، والصور البيانية، فيستفيد منها القارئ لغة وأدباً وبياناً، مع التمتع بالناحية الفكرية والروحية والنفسية، والربط بالواقع والحياة أحياناً، والتحليق في الخيال والسماء والأفق أحياناً أخرى.

واستشهد الشيخ مروان بالآيات الكريمة وذكر وردها في القرآن والسورة ورقم الآية، ثم أردفها بالأحاديث النبوية الشريفة، وعزاها إلى كتب السنة، وذكر بعض الآثار عن الصحابة والتابعين، ونقل نصوصاً وأقوالاً للأئمة وعلماء السلف من الحِكم والنصوص الجذابة. وشغف الأسماع: ببعض الأشعار والنظم الموزون، والأقوال المأثورة، واستعان ببعض الدراسات المعاصرة في الأمور الطبية، والأغذية، والإعجاز العلمي المعاصر، مع تقديم النصائح المتنوعة، والإرشادات المفيدة، والتنبيه للآداب الدينية، والأحكام الشرعية، والعادات الاجتماعية، والقيم والأخلاق، ثم حذَّر من بعض الأمراض الفردية والجماعية والسلوكية كالغيبة والنميمة وضياع الوقت، التي تتنافى مع العقيدة الإسلامية والأخلاق الفاضلة، والآداب الإسلامية، وقيم رمضان وآدابه.

ونسأل الله تعالى أن ينتفع الناس بهذه النفحات الرمضانية، وأن تكون لهم تذكرة وذكرى، ودعوة ونصيحة، ليتخذوا من معانيها نبراساً في الحياة.

كما ندعو الله تعالى أن يحفظ الشيخ مروان، وأن ينفع بعلمه، وأن يبارك في إنتاجه، وأن يديم عليه نعم الله تعالى ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

كما نرجو الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما يعلمنا، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

سادساً: عيد الأضحى عبرة وحكمة[1]

الحمد لله الذي هدانا للإيمان والإسلام، والصلاة والسلام على رسول الله المبعوث رحمة للأنام. وبعد:

فإن عيد الأضحى المبارك فيه عبر كثيرة، وحكم بالغة للمسلمين عامة، وللحجاج والعمار خاصة، ونشير بإيجاز إلى بعضها.

إن عيد الأضحى يمثل أحد محاور الإسلام الكبرى، وتنتظم فيه أحكام الشرع الرئيسية، وتتحقق فيه مقاصد التشريع في تحقيق مصالح الناس في الدنيا والآخرة.

لأن الإسلام ليس ديناً كهنوتياً، أو يهتم بالغيب والميتافيزيك، بل جاء لينظم علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الإنسان بمجتمعه، وعلاقة الإنسان بنفسه.

وكل حكم في الإسلام يتعلق بالعقيدة، أو العبادة، أو الأخلاق، أو التشريع، يراعي هذه الجوانب الثلاثة، ويؤكد مضمونها، ويحرص على تغذيتها.

وعيد الأضحى أحد عيدين مقررين في الإسلام، بعد أن ألغى أعياد الجاهلية ومفاسدها، وأبدل المسلمين بها خيراً، لتكون المنظومة الإسلامية متكاملة، وتلبي الفطرة الإنسانية.

وتتجلى العبر والحكمة من عيد الأضحى بأن يتعلق بالجوانب الثلاثة السابقة في العقيدة، والعبادة والتشريع، والأخلاق والسلوك، ويربط بينها بالتطبيق العملي ليحقق سعادة الإنسان.

ففي مجال العقيدة يتجلى عيد الأضحى بمساهمات عدة، منها:

---

(١) المنبر الجامعي، العدد ١٢، مارس ٢٠٠٢م، ص٤.

١- يتعلق عيد الأضحى بالإيمان بالرسل والأنبياء، تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وعيد الأضحى يرتبط ويذكر بأبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وابنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام، وذلك في بناء الكعبة المشرفة التي يتجه إليها المصلي في كل صلاة، ويقصدها الحجاج والمعتمرون من أرجاء المعمورة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧] ثم قال الله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧] وحقق الله تعالى مقصود إبراهيم، واستجاب دعاءه، وكلفه النداء لأداء الحج، وزيارة البيت المحرم، وتكفل الله تعالى بتبليغ النداء إلى كل مكان وزمان، وهذا الواقع اليوم أكبر دليل، وأعظم برهان عملي، لهذه الجوانب الغيبية التي تعتبر من المعجزات الإلهية.

ويتصل بذلك قصة إبراهيم مع ابنه الذبيح إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، إذ ابتلى الله إبراهيم وأمره بذبح ولده، فبلغ إبراهيم إسماعيل بذلك، واستجابا لأمر الله تعالى، وأسلما لحكمه، وشرعا في التنفيذ، فأنزل الله فداءه من السماء بكبش كبير، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ ... وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٣-١٠٧] ومن هنا

شرعت التضحية والأضحية وسمي عيد الأضحى.

ويرتبط عيد الأضحى عقدياً بقصة أم إسماعيل وابنها الصغير الوليد، عندما أصابه العطش، وبدأت تبحث عن الماء، وترقب الأطراف البعيدة، وتصعد على الصفا والمروة، فأفاض الله عليها النعمة الجلى بنبع زمزم الذي يمتاز بمائه العذب، والشافي من كل داء، ولذلك شرع السعي بين الصفا والمروة للحجاج والمعتمرين، واستحب الشرب من ماء زمزم بعد السعي.

٢- يمتاز عيد الأضحى بالتكبير في جميع أنحاء الأرض، وهو على القول الراجح من صبح يوم عرفة إلى عصر ثالث أيام التشريق، بعد الصلوات المفروضة، كما يسن التكبير في كل وقت من هذه الأيام، وهو تعظيم الله تعالى، وإعلاء لوحدانيته، وتبرؤ من الشرك، وترديد لشعار الإسلام الأول، ونطق بأول ركن وأهم ركن من أركان الإسلام، وهو الشهادة، مع قصر العبودية الكاملة لله رب العالمين.

٣- ويختص الحجاج والمعتمرون بالتلبية التي تتفرع عن الشهادة، وتعلن الاستجابة لله وحده، والاعتراف الكامل بنعم الله وفضله، وتعتبر التلبية شعار المحرمين خاصة، والتكبير شعار المسلمين عامة في عيد الأضحى.

وفي مجال الفقه والعبادة ترتبط بعيد الأضحى عبر كثيرة، وأحكام عدة، منها:

١- يرتبط عيد الأضحى بأحد أركان الإسلام الخمس، وهو الحج، لقوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان» فلا يذكر عيد الأضحى إلا مقروناً بالحج الذي يعتبر أكبر تجمع عالمي اختياري،

وفيه أكبر اجتماع للمسلمين سنوياً لأداء مناسك الحج والعمرة، وليشهدوا منافع لهم، مما يحمل في طياتها الإيمان والعقيدة، والعبادة والتقرب والطاعة، والتنظيم وتفقد أحوال المسلمين في العالم، ويمارس الحجاج دورة تدريبية في الأخلاق، بتهذيب النفس، وضبط السلوك، قال تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقال تعالى عن أيام الحج: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠١-٢٠٢].

وفي سبيل الحج يتم البذل في سبيل الله، والإنفاق من فضله، وتعظيم شعائر الله تعالى، قال عز وجل: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

٢- وفي عيد الأضحى تقدم الأضاحي في مكة خاصة، وفي أرجاء العالم عامة، والأضحية قربة لله تعالى، واقتداء بإبراهيم أبي الأنبياء، وهي واجبة عند بعض الفقهاء، وسنة مؤكدة عند آخرين، وذلك بذبح شاة، أو بقرة، أو بعير لإدخال الفرحة والسرور على أهل البيت والأقارب والجيران والفقراء والمساكين.

٣- وفي عيد الأضحى يتم تقديم الهدي للحرم وأهله من الحجاج والمعتمرين، وكان يستفيد منه فقراء الحرم حصراً في الماضي، والآن عم نفعه ليوزع الهدي مع الأضاحي في مكة على معظم أقطار العالم الإسلامي، وخاصة

أصحاب الحوائج والنكبات واللاجئين والمهجرين.

وفي مجال الأخلاق تظهر العبر الباهرة، والحكم النافعة في عيد الأضحى، ويتم ربط الفرد بالمجتمع، وانصهار المسلم مع إخوته، مع حسن التنظيم، وشفافية اللقاء والتعاون، ولذلك شرع الإسلام في هذا العيد خاصة التزاور بين الأهل والأحباب والأصحاب، وتتأكد صلة الرحم بين الأقارب، ويتم إدخال السرور والمحبة والتسامح بين الناس، ويقدمون التهاني بهذا العيد، ويدعون لبعضهم بقبول الطاعة والعبادة، ويسألون الله تعالى أن يجعلهم من عوداه، وتعقد الزيارات العائلية، ومجالس التشاور، وتعمر الدواوين، وتلتقي القلوب مع لقاء الأجساد، ويترك الناس التخاصم والشقاق، وينبذون الشحناء، وتفيض قلوبهم بالبشر، ووجوههم بالفرحة والسرور، وألسنتهم بطيب الكلام، فتقوى الصلات الاجتماعية، ويصبح الناس إخوة متحابين، وينتشون بأفراح العيد، وينسون متاعب العمل، ويتجدد نشاطهم ليعودوا إلى وظائفهم بعد العيد بهمة وجد وإخلاص وتفان، لتعود الحياة من جديد إلى مجراها.

نسأل الله تعالى أن يبارك للمسلمين أعيادهم، وأن يعيدها عليهم بالخير واليمن والبركة، وأن يحقق لهم النصر، والعودة إلى المقدسات، والالتزام بشرع الله ولدينه ليحظوا بخيري الدنيا والآخرة، والحمد لله رب العالمين.

سابعاً: أعيادنا وأعيادهم

العيد لغة من المعاودة، وهو الموسم المعين، سمي بذلك لأنه يعود أي يرجع على الناس مرة بعد أخرى، ويعود بعضهم بعضاً بالزيارة واللقاء والاجتماع.

العيد مناسبة للأفراد العامة والخاصة، وتتخذها الأمم والجماعات والدول سنوياً لأهداف معينة، وذكريات خاصة، وغايات مرسومة، حتى أصبحت الأعياد من طبائع الأمم، وعادات الشعوب، ودخلت في عقائد الناس واحتفالاتهم.

والأعياد كثيرة ومتنوعة، وتختلف مناسباتها من أمة إلى أخرى، ومن وطن إلى غيره، ومن عقيدة إلى ثانية، ولكنها لا تخلو منها جماعة في العادة، وتتخذ اتجاهاً واحداً في توقف الأعمال، والتخلي عن التكاليف للاستراحة من أعباء الحياة، وهموم الدنيا، وتجديد القوة، واستعادة الهمة والنشاط، وتقوية العزيمة، وترويح النفس، والمشاركة الجماعية، وتوثيق الصلات العامة.

وتمارس الأمم والشعوب والأفراد في الأعياد تصرفات خاصة، وأفعالاً كثيرة، وتتخذ تقاليد معروفة، وعادات شائعة، وتؤدي مظاهرة مألوفة، وأن تطور البشرية اليوم، وسهولة الاتصال بين الشعوب، وسرعة المواصلات، واختراع أجهزة البث والإذاعة والتلفاز، وتعدد وسائل الإعلام والنشر، ساعد على نقل الصور المتنوعة من أعياد الشعوب، وسهل في الاطلاع عليها، ودفع كثيراً من الناس إلى المشاركة في أعياد غيرهم، أو على الأقل دفعهم إلى تقليدهم بالمظاهر، ومحاكاتهم في الأشكال، وبذلك تطورت الأعياد من إطار قومي أو ديني أو وطني إلى مجال عالمي.

ويتكرر الاحتفال بالأعياد سنوياً، وتقترب مناسبات الأعياد المختلفة من بعضها، لتكون أحياناً في زمن واحد باليوم أو الأسبوع أو الشهر، ومع ذلك تتفاوت الحقيقة، وتختلف الأهداف والغايات، وتتباعد الوسائل والأعمال والتصرفات، وتتمايز النتائج.

ومن أشهر الأعياد في العالم العربي والإسلامي عيد الأضحى وعيد الفطر، وعيد ميلاد السيد المسيح عليه الصلاة والسلام وعيد رأس السنة الميلادية، وعيد المولد النبوي الشريف، ومنذ عدة سنوات يتزامن الاحتفال بعيد الميلاد ورأس السنة الميلادية مع الاحتفال بمولد الرسول ﷺ طوال شهر ربيع الأول، ومع أن الاحتفال بهذه المناسبات متقارب في الزمن، ومتفق في الأصل والمنشأ، ولكن الغاية تختلف، والوسيلة أو الأسلوب يتباين ويتباعد تباعد المشرق عن المغرب، مما يدعونا للمقارنة والموازنة بين مفهوم العيد في الإسلام، وأهدافه ووسائله، وبين الواقع الملموس، والمناظر المشاهدة في الحياة.

العيد في الإسلام فرع عن التصور الكامل للإنسان والكون والحياة، والعيد عند المسلمين مرتبط بالعقيدة والأخلاق، والعبادة والمعاملات، وهو فرع عن الإيمان والتشريع، كما أن العيد وسيلة لتحقيق مقاصد الشريعة العامة، وتأكيد الفروع والأحكام التفصيلية.

فالأعياد الإسلامية طريق لتنظيم علاقة الإنسان مع ربه، بإعلان العبودية لله تعالى، والثناء عليه بالتكبير والتهليل، والتقديس والتعظيم، لذلك شرع في العيد التكبير الذي يردده المسلم عند استقبال العيد، ويتخذه أنشودة يكررها في كل تصرف وحركة، «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر ولله الحمد، والله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله العظيم،

وبحمده بكرة وأصيلاً، لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده، ولا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»، ويرفع المسلمون أصواتهم بالتكبير طوال ليلة عيد الفطر، وخلال بضعة أيام في عيد الأضحى، ويعلنون ذلك في طريقهم إلى المسجد، وعقب الصلوات، بل يدخل التكبير في صلاة العيدين، وفي كل ركعة منها، ويدخل في خطبة العيدين أيضاً.

وفي العيد إظهار للشكر والثناء والحمد لله تعالى على نعمه وأفضاله، وعلى توفيقه لأداء الطاعة والعبادة، والعيد هو يوم الجائزة للصائمين في رمضان، ويوم الذكرى الخالدة في عيد الأضحى الذي أتمّ الله به الإسلام، وأنزل على رسوله الفرقان، وأعلن أنه رضي لعباده الإسلام ديناً، وأكمله للخلق عقيدة وشريعة.

وفي العيد يؤدي المسلم العبادة لله تعالى في صلاة العيد، كما يسن فيه قيام الليل في الطاعة لله، والتقرب إلى الله، وتلاوة القرآن، وذكر الرحمن، والتضرع إليه بالدعاء، والتذلل له بالخشوع، والأنس بقربه، والطمع بما عنده، والخوف من عقابه.

والعيد في الإسلام -مع كل ما فيه من بهجة وفرح وأنس وسعادة وراحة دنيوية- فهو يوم المغفرة للذنوب، ويوم البشارة بالفوز بجنات الخلود، فقد روى الطبراني في الكبير أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا: اغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم، يمنّ بالخير، ثم يثيب عليه الجزيل، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم، وأمرتم بصيام النهار فصمتم، وأطعتم ربكم، فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلّوا نادى

مناد: ألا أن ربكم قد غفر لكم، فارجعوا راشدين إلى رحالكم، فهو يوم الجائزة، ويسمى ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة» أي يوم البراءة من الذنوب، والطهارة من العيوب، والنقاء من الأدناس والكروب، وفي عيد الأضحى يتقرب المسلمون إلى ربهم بالأضاحي التي يقدمونها لأنفسهم يوم القيامة، وفي عيد الفطر يؤدون صدقة الفطر.

والأعياد الإسلامية وسيلة لتنظيم علاقة المسلم على نفسه، فيمنحها الراحة، ويعفيها من العمل، ويستريح من مشاغل الحياة، ويدخل على نفسه البهجة والسرور، والمسرة والحبور، ويلتقط المسلم أنفاسه من وعثاء التعب والسفر والعمل، ليسجل مرور سنة ماضية من عمره، وأنه يقترب من أجله، ليستعد إلى لقاء ربه، وينفض عن كواهله التعلق بالمادة والحياة والمال، فلا يلهث وراءها، ولا يطمع بالخلود فيها، وجمع الثروة والثراء منها، ليكون فيها حسب وصية نبيه ﷺ فيما رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»، فكيف به وقد حال عليه الحول، وعاد عليه العيد، كما يسعد المسلم نفسه بصلته مع الله كما سبق، وصلته مع المجتمع كما سيأتي، وهكذا يغير المسلم من نمط حياته وسلوكه، ويبدل في نظام عمله، ويأخذ العطلة السنوية، ليتوقف قليلاً، ويعطي نفسه حقها، «إن لنفسك عليك حقاً».

والأعياد الإسلامية سبيل لتنظيم علاقة المسلم بأخيه المسلم، وتوطيد الروابط معه، مادياً ومعنوياً، فمن الناحية المادية يقدم الصدقات، ويذبح

الأضاحي، ويخرج صدقة الفطر، ويواسي الفقراء والمساكين بالإعانات المالية، ويمد يد المساعدة للمحتاجين، ويتفقد أحوال أهله وعشيرته، وظروف جيرانه وأقاربه، ومعيشية أهل بلده ووطنه، ويطلع عن قرب على مجتمعه، ليكون نافعاً للجميع مع مرضاة الله تعالى الذي أخبره على لسان نبيه ﷺ -فيما رواه أبو يعلى والبزار والطبراني مرفوعاً: «الخلق كلهم عيال الله، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله»، ومن الناحية المعنوية يصل المسلم في العيد أرحامه، ويزور الأقارب، ويدخل على جيرانه، ويواسي المحزونين والأرامل واليتامى والمقطوعين، ويعود المرضى، ويقابل الناس بالصفاء والمحبة، والبشر والمسرة، والمودة والأخوة، وكثيراً ما يتصالح المتخاصمون، ويعفو المحسن عن المسيء، ويلتقي الأقارب والأحبة الذين فرقت بينهم أمور الحياة والمعيشة، وكثيراً ما يعود المسافر إلى وطنه وأهله، وتمتد الأيدي بالمصافحة، «كل عام وأنتم بخير» «أعاده الله عليكم بالخير واليمن والبركة»، «عيد سعيد»، ويبش المسلم في وجه أخيه، ويأنس بلقائه وزيارته، وتبتسم الثغور ليحل الفرح والحبور في النفوس والقلوب، وفي البيوت والطرقات.

وفوق كل ذلك ففي الأعياد يتجمل الناس بأفخر الثياب، ويأكلون أطيب الطعام، وينفق المرء على أهله بسعة وجود، لذلك حرم الإسلام الصيام في يومي العيد، لأنهما وقت أكل وطعام ولهو، ويلعب الأطفال، ويلهو الكبار في اللهو المباح الذي لا يعود على أنفسهم ومجتمعهم وأمتهم بالضرر والفساد والإيذاء، ولا بأس من استعمال الدف والغناء والمباح لما روى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علينا أبو بكر يوم عيد، وعندنا جاريتان (وهما الطفلتان الصغيرتان قبل البلوغ) تذكران يوم بعاث (أي تغنيان،

وتنشدان الأشعار والذكريات عن ذكرى تلك الحروب) يوم قتل فيه صناديد الأوس والخزرج، فقال أبو بكر: عباد الله، أمزمور الشيطان؟ (قالها ثلاثاً)، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً، وإن اليوم عيدنا»، وبذلك يصح الغناء المباح في العيد بما لا يخرج عن الآداب الإسلامية.

أما الاحتفال بمولد النبي ﷺ فإنه يتضمن تلاوة القرآن الكريم الذي أنزله الله هدى للعالمين، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وقد قال رسول الله ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[1]، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ويقول أيضاً: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، وفي الاحتفال بالمولد ذكر لله تعالى، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣]، وفي الاحتفال بالمولد صلاة على النبي ﷺ، أي دعاء له، وقد أمرنا الله تعالى بهذا الأمر العميم، وبدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكة عرشه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، كما ورد تكرار الصلاة

---

(١) هذا جزء من حديث صحيح رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً.

والسلام عليه في أحاديث كثيرة وصحيحة، ويتلو ذلك، أو يتخلل الاحتفال، أناشيد دينية، وقصائد مدح للنبي ﷺ، وقد ثبت في السنة والسيرة أن شعراء الرسول ﷺ: حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير كانوا ينشدون الشعر والمدائح، وكان رسول الله ﷺ يقرهم على ذلك، ويدعو لهم بالثبات، وأن روح القدس معهم، وفي أثناء الاحتفال تذكر نبذة من سيرة المصطفى ﷺ، وبعض شمائله وخصائله، وجانب من أخلاقه وهديه، ليتأسى بها المسلم، ويقتدى بها المؤمن، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقد يتم في الاحتفال إطعام الطعام للأقارب والجيران، والأحبة والمساكين.

هذه أعياد المسلمين واحتفالاتهم في أصلها ومشروعيتها، وفي أهدافها وغاياتها، وفي وسائلها وكيفيتها، وينقسم المسلمون أمامها إلى ثلاثة أقسام، قسم يلتزم بذلك فلا يزيد عليه ولا ينقص، وقسم يفرّط في كثير من جوانبها، ويهمل القيام بأكثر أحكامها وآدابها، ويزيد عليها شيئاً من البدع والتقاليد الخارجية، والعادات الشعبية، والتصرفات الفردية، والقسم الثالث يقصر في أعمال العيد وأفعاله، ويترك تعاليمه وأحكامه.

أما أعياد غير المسلمين، سواء في الشرق أو الغرب، وسواء في بلادنا أم في البلاد الأجنبية فإنه تقع على نقيض الأعياد الإسلامية، وتتخذ مراسيم غريبة، وأشكالاً عجيبة، وتقاليد منفرة، وأفعالاً ضارة ومؤذية، وفوق كل ذلك، بل وأهم من كل ذلك، فإن الاحتفال بعيد الميلاد ورأس السنة يعتبر تظاهرة على الله تعالى، وإعلاناً للمعاصي والمنكرات، وخروجاً على العقيدة والإيمان، وتحللاً من الأديان والشرائع السماوية كلها، وانتهاكاً لحرمات الله

تعالى، واعتداء على حدوده، وتجاوزاً لأحكامه، وتحدياً بعصيانه ومجاهرة بالفواحش، وتقترن هذه الاحتفالات باللقاءات المشبوهة، والاجتماعات الخليعة، وإطلاق الرصاص في منتصف الليالي، وإطفاء الأنوار في كل مكان، ويشارك الجميع في احتساء الخمور والمشروبات حتى الثمالة، وبدون عقل ولا وعي ولا إدراك، وبدون حساب لعواقب الأمور، ثم يشاركون في الحفلات الماجنة، والرقصات المشتركة، والثياب المتبذلة، والمناظر المفكرة، وتطلق الشهوات على مصراعيها، وكأنها خرجت من القمم، ويختلط الرجال البالغون، والكهول المترهلون، والشباب الطائشون، والنساء المتبذلات، والفتيات شبه العاريات، في أفعال صبيانية، وتحركات طائشة، ورقصات مختلطة، ويخرجون إلى الشوارع والحدائق العامة بأشكال حيوانية، وكأن الكرة الأرضية قد تحولت من خلافة الإنسان إلى عبث الأبالسة والشياطين، ويضحك الشيطان بملء فيه، ويسعد في تلك الأيام والليالي، ويملأ قلبه طرباً وسعادة لانتشار جنوده، وسعة سلطانه، وقوة شكيمته، وانتصاره على العقول والألباب، وسيطرته على النفوس والأفئدة.

وفي هذه المناسبات تهدر الأموال الطائلة، وتدنس الأعراض، وتداس الأخلاق، ويخرج الناس على كل مألوف ومعروف، بحجة استقبال السنة الجديدة، ويسخرون بجميع القيم الدينية والاجتماعية والإنسانية، ويشيعون الهلع والخوف في كل مكان، ويلقون الأذى والضرر بالفقراء والمساكين والبائسين، ويزعجون المرضى والمحزونين، ولا يرعون لهم حرمة، ولا يخففون عنهم شيئاً، بل يزيدونهم ويلاً وأسى، وبينما ينفقون المال الكثير في المظاهر البراقة، والثياب الفاخرة، والأشكال التافهة، والزينات الفارهة، والأطعمة

المتنوعة، ويدخرون الأموال لهذه المناسبات من شهور سالفة، ثم يرهقون أنفسهم بالإسراف والبذخ، وبعد ذلك يصيحون بالقلة والحرمان، ويتصرفون بالشح والبخل، ويدعون النقص في الأرزاق، والضائقة في الإنفاق، على أنفسهم وأهلهم وأولادهم وأسرهم، و﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] بل ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩].

وإذا كان هذا احتفال النصارى والغربيين بأعيادهم، وأنها تقاليدهم وعاداتهم، ولهم حريتهم فيها، فلنتوجه في الكلام إلى المسلمين الذين يشاركون في هذه المناسبات والأعياد، ويسيرون في ركب غيرهم بالتقاليد والمحاكاة، لنرى فيهم تميع الشخصية، واضمحلال الذات، والتقليد الأعمى، والاشتراك في المظاهر البراقة، والأعمال الشائنة، والتصرفات البلهاء، وتصدر عنهم وبين ظهراني المسلمين تحركات ينفث فيها الشيطان، وينادي بالعويل في أفواههم، والترديد لصداها، والتزمير ببوقها، ويتبعهم من قلّ عقله، ورق دينه، واختلط فكره، وتشتت وعيه، ونام ضميره، وغفل قلبه عن الله تعالى، وعمي بصره عن النور، وضاع قلبه عن الحق، وكأن هؤلاء قد انسلخوا عن الدين، وتجردوا عن الإسلام، فتجد أحدهم في ميوع وتحلل، وتخنث وطيش، وضياع وتيه، لا يعرف المرء له أصلاً ولا معتقداً، ولا اتجاهاً، بل هو ضائع كالورقة في الهواء، والغبار في مهب الرياح، والخشبة في البحر الهائج، ولا يثبت لها قرار، ولا يستقر لها مكان، وهو كالنبتة في الفضاء، تميل مع كل اتجاه، ومتى قضى أحدهم إربه، وبلغ مأربه، وتخبطه الشيطان من المس، واجتاله إبليس، رفع رأسه وكأنه مستيقظ من ثبات عميق، وقد أخذ عليه النوم كل مأخذ، ويسأل عن نفسه، ويتفقد من حوله، ويبحث عن أهله وأولاده، ويفتش عن

قوامه، فلا يجد شيئاً، لأنه فقد كل شيء في الليالي الحمراء، وخسر كل ما جمع، وحبط جميع ما قدم، ليصدق على هؤلاء ما رواه البخاري ومسلم وأحمد والحاكم وابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر، أو ذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه» قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟».

وإن كثيراً من هذه المظاهر الغريبة في أعياد غير المسلمين، والإسراف في الملاهي والزينات، والتبذير في الأموال ترجع في أصلها إلى الوثنيات القديمة عند الإغريق واليونان، وإلى الجاهلية العربية قبل الإسلام، فجاء الإسلام وحرر الأعياد من الصور الوثنية، والعادات الجاهلية، والطقوس الزائفة، والمراسم الآثمة، والمناظر الفاحشة، ليتجه الناس في أعيادهم إلى الله تعالى، وإلى أنفسهم وأهليهم، وإلى أمتهم ومجتمعهم.

ونختم الكلام عن أعياد المسلمين وأعياد غيرهم بالمثل العربي الشائع: «كل إناء بالذي فيه ينضح» ونكرر قول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، وقول الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثامناً: يوم عاشوراء

دروس وعبر

لقد أنزل الله تعالى كلامه عن طريق الوحي، الذي يتضمن الأحكام والهدى نظرياً، وكانت سيرة المصطفى محمد ﷺ تحدد المنهج العملي لهذا الشرع بطريق مستقيم، وأسلوب قويم وبيان حكيم، يحدد فيه الإطار الإلهي للشرع، والتطبيق العملي للأحكام، والكيفية الصحيحة للسلوك، والنموذج المثالي للعبادة، فكانت حياة الرسول ﷺ ترجمة عملية للقرآن والدين، وكانت سيرته صورة حية ومتحركة للإسلام والشريعة، وهذا جانب من المنهج الإلهي في التربية، وأحد العوامل المهمة في نجاح رسول الله ﷺ في الدعوة والإصلاح والجهاد، وهو أحد الدعائم الرئيسية في التربية الإسلامية على مر التاريخ عامة، وأصول التدريس والتوجيه في عصرنا الحاضر خاصة.

وكان رسول الله ﷺ يغتنم الفرص، ويستفيد من الظروف والأحوال ويستغل المناسبات البارزة لتقرير مبادئ الدين العملية، وترجمتها إلى التطبيق والواقع ومن أمثلة ذلك الخبر القصير والطريف الذي ورد في كتب السيرة النبوية ومدونات السنة الشريفة، ففي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما «أن النبي ﷺ لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوماً، يعني عاشوراء، فقالوا: هذا يوم عظيم، وهو يوم نجى الله فيه موسى، وأغرق آل فرعون فصام موسى شكراً لله تعالى، فقال: أنا أولى بموسى منهم، فصامه وأمر بصيامه»، وهذا لفظ البخاري، وفي رواية أحمد عن ابن عباس قال: «قدم رسول الله ﷺ المدينة، فوجد يهود يصومون يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ فقالوا: هذا يوم عظيم، يوم نجى الله موسى، وأغرق آل فرعون، قال: فصامه موسى شكراً، قال النبي ﷺ: فإني

أولى بموسى وأحق بصيامه، فصامه، وأمر بصيامه»[1].

فهذا الحديث الشريف، والخبر الطريف من السيرة وكتب السنة يحمل معاني كثيرة، وأحكاماً عظيمة، ودلالات شرعية تتعلق بالعقيدة والسلوك، والعبادة والمعاملات، نذكر جانباً منها:

الأول: فضائل يوم عاشوراء:

إن يوم عاشوراء يوم عظيم في تاريخ البشرية والحضارة الإنسانية، لأنه انتصار للحق على الباطل، وإعلاء لكلمة الله على دعوة الشياطين، وإعزاز للأنبياء عليهم الصلاة والسلام على الطواغيت والكفار، وهو عيد جليل، لذكرى عطرة، يوم نجى الله تعالى نبيه موسى وأتباعه المؤمنين الصادقين، وأغرق فرعون وآله وجيشه، وخلص الله تعالى الناس من ظلمه وطغيانه وجبروته، ليكون لغيره عبرة، كما قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ٢٥-٢٦]، ثم ألقى الله جسده على الشاطئ ليكون آية بينة على قدرة الله وعظمته، وعلى الوفاء بعهده ووعده لأنبيائه وأصفيائه وأحبابه بالنصر، وليكون ذلك دلالة على كذب ألوهيته وادعائه الربوبية، قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢].

وهكذا يكون عيد الأنبياء والمؤمنين، يحتفلون به بالشكر لله تعالى، وإعلان الخضوع له، وزيادة التقرب إليه، وأن الفضل منه وإليه «وبالشكر

---

(١) هذا لفظ البخاري ١٥٩/٢ ط العثمانية +٢٣٤/١، ٢٣٣، صحيح مسلم مع النووي عن عائشة ٤/٥، صحيح مسلم مع النووي عن ابن عباس ٩/٥، رقم ١١٢٥ في الصيام باب صوم ست من شوال، مسند أحمد ٣٣٦/١، ولفظ أحمد أنسب وأوضح وأصرح، ابن ماجه ٥٥٢/١، وانظر: زاد المعاد ٦٦/٢ وما بعدها.

تدوم النعم»، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [النمل: ٤٠]، وليس العيد احتفالاً بالمعاصي والمحرمات، وارتكاب الآثام، واقتراف الذنوب، والإعراض عن الله، والوقوع في شباك الشيطان.

وتزداد فضيلة يوم عاشوراء أنه في الشهر الحرام، شهر الله المحرم، وأحد الأشهر الحرم التي قال الله تعالى فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، وهذه الأشهر هي: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم.

قال علماء التفسير: ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ في كل الشهور، ثم خصَّ أربعة أشهر، فجعلهن حُرُماً، وعظّم حرماتها، وجعل الذنب فيهن أعظم، كما جعل العمل الصالح والأجر له أعظم، وإن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزر من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم على كل حال عظيماً، ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء، وسميت حرماً لأنها معظمة محترمة، تتضاعف فيها الطاعات، ويحرم فيها القتال إلا للدفاع عن النفس ورد العدوان، وطلب الله تعالى من عباده ألا يظلموا ولا يتظالموا في الأشهر المحرمة بهتك حرمتها، وارتكاب ما حرم الله من المعاصي والآثام، وأن يجعلوا حلالها حراماً، وحرامها حلالاً، كما فعل أهل الشرك[1].

---

(١) انظر: صفوة التفاسير ١/٥٣٤، مختصر ابن كثير ٢/١٤١، القاسمي ٨/٣١٤٣، الطبري: ١٠/١٢٦.

قال قتادة: «إن الله اصطفى صفايا من خلقه: اصطفى من الملائكة رسلاً، ومن الناس رسلاً، واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلة القدر، فعظموا ما عظم الله، فإنما تعظيم الأمور بما عظمها الله به عند أهل الفهم، وأهل العقل»[1].

وفي هذه المناسبة لابدَّ من الانتباه إلى حقيقة دينية مقررة، ومبدأ إلهي واضح، وهو أن الله تعالى نصر موسى وقومه على فرعون الطاغية وجنده، لأن موسى عليه السلام كان مع الله، ويحمل شرع الله ودينه، وكان فرعون ظالماً، ومتكبراً ومتألهاً، يسوم الناس صنوف الهوان، ويذيقهم ألوان العذاب، يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، حتى قال لهم: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] وهدد من يخرج عن عبادته وطاعته، فقال: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

أما اليوم فقد قلبت الآية، وأصبح بنو إسرائيل واليهود الذين يدَّعون الانتساب إلى موسى على عكس ذلك، فحرفوا دين الله وبدلوه، وكذبوا على الله، وافتروا على أنبيائه، وزوروا كتاب الله تعالى، ثم حملوا لواء فرعون في الظلم، والطغيان واحتلال الأراضي، وتشريد المسلمين من فلسطين الغالية، ولا بدَّ أن تكون عاقبتهم كفرعون وجنوده، ولا بدَّ أن يكون النصر حليف المظلومين من المسلمين المؤمنين لتحرير القدس، وإنقاذ المقدسات بشرط واحد، وهو أن يعود المسلمون إلى دينهم وقرآنهم، وأن يرفع لواء الشرعية، وأن يصروا الله أولاً ليكتب لهم النصر فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا

(١) مختصر ابن كثير ٢/١٤١، الطبري ١٠/١٢٨.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، ويقول أيضاً: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، وسوف يخوض المسلمون معارض الشرف والنصر بإذن الله، والمعركة تلو المعركة، وسوف يقدم الجنود الشهداء في سبيل دينهم ووطنهم وأمتهم وعزهم وكرامتهم، وهم يعلنون المبدأ الخالد «أنهم يحبون الموت، كما يحب اليهود الحياة» وهذا ما قرره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٦-٧].

ثانياً: وحدة النبوة والأنبياء:

وهذا ما ناحية العقيدة، فقد بين رسول الله ﷺ في الحديث أنه «أحق وأولى بموسى» من اليهود، فصام هذا اليوم اتباعاً لموسى، ومشاركة له في العيد والفرح، وشكر الله تعالى على نجاة أحد أنبيائه مع أصفيائه المؤمنين، وأمر رسول الله ﷺ المسلمين بصيامه، ليحقق المبدأ الإسلامي الذي جاء في القرآن الكريم بالإيمان بجميع الرسل والأنبياء، وأن المسلم لا يفرق بينهم، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فالمسلم يؤمن بجميع الأنبياء والرسل، وأنهم صادقون في دعوتهم، مرسلون من عند الله تعالى، ولا يفرق بينهم بالإيمان ببعض، والكفر ببعض، كما فعل أهل الكتاب، وهو ما حذر منه القرآن وندد بهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ

وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢]، وأكد رسول الله ﷺ هذا المبدأ، فيما رواه مسلم في «صحيحه»: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة، يهودي، ولا نصراني، ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار»[1]، وروى البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: الأنبياء إخوة من عِلات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد»[2].

والأنبياء صفوة البشر، اختارهم الله عز وجل من خلقه، وجملهم بأحكام الصفات، وأرقى الأوصاف، ورباهم على الخير والبر والتقوى، والعفاف والطهر، وأدبهم بآداب الكمال والفضيلة، وجعلهم نماذج للإنسان الكامل، وعنواناً للفضائل والمكارم، ورعاة للمثل والقيم، وحملة لمشاعل النور والضياء، وأئمة مرشدين، وشرفهم بالنبوة والرسالة، وسدد خطاهم بالوحي والشرع، وآتاهم الحكمة، ورزقهم قوة العقل، وسداد الرأي بمحض فضله واختياره وحكمته، وليس بمجرد الصدفة، أو الرياضة النفسية، أو المعاني الذاتية لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وهؤلاء الرسل اختارهم الله ليكونوا هداة للبشرية، وسفراء من الله لعباده، ومصلحين للمجتمع، وبيَّن تعالى ذلك بإيجاز واختصار في القرآن الكريم، فقال تعالى:

---

(١) مختصر صحيح مسلم ١٣/١، النبوة والأنبياء، الصابوني ١٨.

(٢) هذا لفظ أحمد في مسنده (٣١٩/٢)، وانظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٣٠٨/٤.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

وإن وظيفة الأنبياء واحدة، وعملهم محدداً، ومنهجهم متفقاً، وطريقهم مستقيماً، لا يفرقهم إلا اختلاف الزمان، واتساع المكان، ولا خلاف بينهم في الدعوة والهداية، وقاموا بالدعوة إلى دين الله وشرعه، وإلى توحيده وعبادته، وإلى إعلان القيم والأخلاق، وكانوا يتجهون إلى قولهم، ويلاقون نفس الجواب والنتيجة، يؤمن من يؤمن، ويكفر من يكفر، يصدقهم فريق، ويكذبهم آخر، يتبعهم جماعة، ويعرض عنهم آخرون، ويلاقون الأذى والسوء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ﴾ [النحل: ٣٦].

وكانت النتيجة الأولى أن يبدأ الجدل والمناظرة بين الفريقين، ثم الصدام والإيذاء والمبارزة والقتال، ويرتفع الصراع بين الحق والباطل، وبين جند الرحمن وجند الشيطان، وبين النور والظلام، وبين الفضيلة والرذيلة، وبين العقل والشهوات، وبين الإصلاح والإفساد، بين الزهاد في الدنيا الذين يعرفون حقيقتها ويعرضون عنها، وبين الدهريين الذين يحصرون كل آمالهم وأمانيهم في الدنيا ليغبوا منها، ويجمعوا كل ما يستطيعون من متاعبها، وفي جميع الحالات يبدأ أعداء الله بالتهديد واستخدام القوة والتعذيب ومحاولة الاغتيال والقتل والتنكيل بالأنبياء وأتباعهم، بسبب إفلاس الكافر والملحد فكرياً وعقلياً، وعدم إمكانه الوقوف أمام المنطق والعقل، والحجة والبرهان، فيلجأ إلى العنف والمحاصرة لإخراج المؤمنين من بيوتهم وأرضهم ووطنهم وأهلهم لسبب بسيط، وهو قولهم: «ربنا الله» و«لا إله إلا الله» وتكون

النتيجة الثانية الحتمية هي انتصار الحق، وتأييد الرسل، ونشر الرسالة، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

وصور القرآن الكريم هذا المشهد العام بين الرسل وأتباعهم على مر التاريخ من جهة، وبين الفريق الثاني من جهة أخرى، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٣-١٤].

فالعلاقة بين الأنبياء قوية وقريبة، وأنها كالعلاقة بين الإخوة، وأن فرحة الأنبياء السابقين هي فرحة للرسول وللمسلمين، وهم في الواقع تجمعهم الأفراح والأحزان والآمال والآلام، وقد صام موسى هذا اليوم شكراً لله، وصامه قومه المؤمنين حقاً به، وصامه رسول الله ﷺ شكراً لله تعالى على نجاة موسى وهلاك فرعون، وأكد رسول الله ﷺ هذه العلاقة بين الأنبياء، مع وحدة العمل والوظيفة، فقال عليه الصلاة والسلام -فيما رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد والترمذي-: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجلٍ بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»[1].

---

(١) مختصر صحيح مسلم ١٦٣/٢، الفتح الكبير ١٣٤/٣. حم ت عن أبي، حم ق ت عن جابر، حم ق عن أبي هريرة، حم م عن أبي سعيد. كبرى اليقينيات ٢١١. وانظر أهم وظائف الأنبياء في كتاب النبوة والأنبياء، للصابوني ص٢٣.

ثالثاً: صيام يوم عاشوراء:

جاء في الحديث السابق أن رسول الله ﷺ صام يوم عاشوراء، وأخبر ﷺ أنه أحق بموسى وأولى من اليهود، وأن موسى صامه شكراً لله تعالى، فتبعه رسول الله ﷺ بذلك، وأمر المسلمين بصيامه، لأنهم أحق من اليهود باتباع موسى والاقتداء به ومشاركته الفرحة بالنجاة، وتقديم الشكر لله على نجاة موسى.

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أمرنا رسول الله ﷺ بصوم عاشوراء، يوم العاشر»[1]، ورغب رسول الله ﷺ بصيام يوم عاشوراء، فقال عليه الصلاة والسلام، فيما رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن عدد من الصحابة في الحث عليه، قال: «صيام يوم عاشوراء إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله»[2].

وذهب أهل العلم إلى أن صيام يوم عاشوراء كان فرضاً على المسلمين قبل فرض رمضان، لأن رسول الله ﷺ كان يتحرى صومه على سائر الأيام، وصامه، وأمر بصيامه، وروى البخاري والترمذي وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ أمر بصيام يوم عاشوراء، فلما فرض رمضان: كان من شاء صام ومن شاء أفطر» وفي رواية: «فمن شاء صامه، ومن شاء تركه»[3]، وروى البخاري عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ يقول يوم عاشوراء عام حج على المنبر: «يا أهل المدينة، أين علماؤكم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: هذا يوم عاشوراء، ولم يكتب عليكم صيامه، وأنا صائم، فمن

---

(١) سنن الترمذي مع تحفة الأحوذي ٣/٤٥٩.

(٢) هذا لفظ الترمذي، والروايات الأخرى من تحفة الأحوذي ٣/٤٥٦، ابن ماجه ١/٥٥٣، وانظر صحيح مسلم بشرح النووي ٨/١٠-١١.

(٣) البخاري ١/٢٣٣، والترمذي ٣/٤٥٧، زاد المعاد ٢/٦٦.

شاء فليصم، ومن شاء فليفطر»[1].

وهكذا أصبح صيام يوم عاشوراء سنة وتطوعاً، وأن صيامه فيه أجر كبير، وثواب عظيم، يقول الترمذي: «والعمل على هذا عند أهل العلم، على حديث عائشة، وهو حديث صحيح، لا يرون صيام عاشوراء واجباً إلا من رغب في صيامه، لما ذكر فيه من الفضل»[2].

ويضاف إلى ذلك أنه من السنة والأفضل صيام يومٍ قبله أو يوم بعده، كصيام اليوم التاسع، وذلك لمخالفة اليهود في ذلك، وعدم مشاركتهم في أعيادهم لما ابتدعوه في الدين، وافتروه على الأنبياء، وما حرفوا به الدين، وكذبوا الرسل ومنهم رسول الله ﷺ، والدليل على ذلك ما رواه مسلم في «صحيحه» عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ حين صام يوم عاشوراء، وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله ﷺ: «إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع، فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ»، وفي رواية أخرى لمسلم «إن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع» فلم يأت العام القابل حتى توفي رسول الله ﷺ[3].

وهذا تنبيه من الرسول للمسلمين بعدم اتباع اليهود والنصارى، ومخالفتهم في الشعائر والسلوك، ليكون المسلم متميزاً بشخصيته، ولا يكون إمعة لغيره.

نسأل الله تعالى أن يردنا إلى ديننا رداً جميلاً، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) صحيح البخاري ١/٢٣٣-٢٣٤.

(٢) الترمذي ٣/٤٥٦.

(٣) صحيح مسلم رقم ١١٣٤، زاد المعاد ٢/٩٨، ابن ماجه ١/٥٥٢-٥٥٣، صحيح مسلم مع النووي ٨/١٢.

ذكر الحبيب لم يصل عليه.

ومع ذلك **نغتنم الفرص** لزيادة الصلاة على رسول الله وللتقرب منه، ونرى أن هذه الفرصة هي مجال لتطبيق آية في كتاب الله تعالى حيث يقول تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فكيف يتم **الاتباع** إن لم نعرف سيرة رسول الله ﷺ ونتعرف على هديه، وشمائله، وصفاته وأفعاله، لنتبعها؟

لذلك ذكر الله تعالى –**في معرض القدح والذم**– من يجهل سيرة رسوله، ولم يعرفها، ليصل إلى النكران والتنكر، ثم الإعراض والمخالفة، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٩].

ومن هنا يقيم المسلمون **دروس السيرة** في المساجد والمدارس والجامعات ثم في البيوت، وأجهزة الإعلام، لتبقى الصلة وثيقة بهدي رسول الله ﷺ، وللتعرف على أحواله وأخلاقه، ليزداد المؤمن محبة له، واقتداء به واتباعاً لما جاء به، ليكون ذلك ذخيرة المسلم إلى آخرته، لذلك سمى العلامة ابن قيم كتابه في السيرة النبوية بعنوان «زاد المعاد في هدي خير العباد».

إن **دراسة السيرة النبوية**، ومعرفة أخبارها وأحوالها **مبعث فخار للمسلم**، ووسيلة لزيادة الإيمان، وطريق للمحبة، وباعث للاتباع والاقتداء، وبالتالي لزيادة الأجر والثواب أولاً، ثم لمرافقة الحبيب المصطفى في الفردوس الأعلى ثانياً، وهو القائل عليه الصلاة والسلام: «المرء مع من أحب»، وفي رواية: «يحشر المرء مع من أحب»[1].

---

(١) أخرجه البخاري ٥ / ٢٢٨٣ رقم ٥٨١٦، ومسلم ١٦ / ١٨٨ رقم ٢٦٤٠ وعنون به.

وهذا هو الفوز العظيم بالحشر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

يقول المثل العربي، والحكمة الباهرة «الإنسان عدو ما يجهل»، وهذاهو **مبعث الإساءة لرسول الله ﷺ** قديماً وحديثاً، وهو المرض القاتل لدى بعض الغربيين لينالوا من رسول الله ويصوروه على غير الحقيقة والواقع.

أما من قرأ السيرة النبوية -ولو لم يكن مسلماً- **فقد اعترف بالحق والحقيقة**، وأثنى على رسول الله ﷺ ببعض مايستحق، ووصفه ببعض الصفات من وجهة نظره، أما نحن فلا نرى أفضل من وصفه بأنه «**رسول الله**» وهذه بعض نصوصهم:

١- وضع مايكل هارت في كتابه «مائة رجل من التاريخ» عنواناً «**أعظم رجال التاريخ**»، وقال: «إن اختياري محمداً، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي».

٢- وصف القائد العظيم مونتجومري وات في كتابه «محمد في مكة ص ٥٢» أن محمداً «**رمز العدالة والنزاهة**» وقال: «إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيداً وقائداً لهم، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه. فافتراض أن محمداً مدع افتراض يثير مشاكل أكثر ولا يحلها، بل إنه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تنل التقدير اللائق بها مثل ما فعل بمحمد».

٣- وقال المستشرق الشهير لامارتين في كتابه «تاريخ تركيا ٢/٢٧٦»: «وهل هناك من هو أعظم من النبي محمد ﷺ» ثم قال: «إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سُمُو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أياً من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد ﷺ في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات، فلم يجنوا إلا أمجاداً بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانيهم».

لكن هذا الرجل -محمداً ﷺ- لم يُقد الجيوش ويُسن التشريعات ويُقم الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروّض الحكام فقط، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يُعد ثلث العالم حينئذٍ.

هذا هو محمد الفيلسوف، الخطيب، النبي، المشرع، المحارب، قاهر الأهواء، مؤسس المذاهب الفكرية التي تدعو إلى عبادة حقة، بلا أنصاب ولا أزلام، هذا هو محمد ﷺ.

بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية، أود أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي محمد ﷺ؟».

٤- وقال المؤلفان إدوارد جيبون وسيمون أوكلي في كتابهما «تاريخ إمبراطورية الشرق ص ٥٤» تحت عنوان «**روعة محمد**» قالا: «ليس انتشار الدعوة الإسلامية هو مايستحق الانبهار، وإنما استمراريتها وثباتها على مر العصور فما زال الانطباع الرائع الذي حفره محمد في مكة والمدينة له نفس الروعة والقوة في نفوس الهنود والأفارقة والأتراك حديثي العهد بالقرآن، رغم مرور اثني عشر قرناً من الزمان».

٥- وقال راما كريشنا في كتابه «محمد النبي» تحت عنوان «**كل هذه الأدوار تؤهله لأن يكون بطلاً**» قال: «لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها، ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذة عن حياته، فهناك محمد النبي، ومحمد المحارب، ومحمد رجل الأعمال، ومحمد رجل السياسة، ومحمد الخطيب، ومحمد المصلح، ومحمد ملاذ اليتامى، وحامي العبيد، ومحمد محرر النساء، ومحمد القاضي، كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلاً.

٦- ووصف القائد الفيلسوف مهاتما غاندي في حديثه لجريدة «يونك إنديا» أن رسول الله ﷺ «**يملك قلوب الملايين**» وقال: «أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر، لقد أصبحت مقتنعاً كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول ﷺ مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته، مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته، هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف».

أما **تداعيات الرسوم المسيئة** التي نشرت، والتي أثارت من حولها ضجة كبيرة وواسعة، فقد حققت عكس مقصودهم وأرادوا بها الباطل فظهر الحق، وكانت مناسبة لدفع الناس للتعرف على سيرة رسول الله ﷺ، مما يؤدي إما إلى الاعتراف بالحق، أو معرفة الحقيقة، أو مراجعة النفس، أو الوقوف على الحياد، أو نبذ العصبية والتعصب ضد الإسلام، أو إثارة الذهن والعقل للبحث عن الحقيقة، وكل ذلك لمصلحة الإسلام.

كما أدى ذلك إلى **إيقاظ بعض المسلمين من غفلتهم القاتلة**، وصحوة بعض العيون النائمة، وتذكير بعضهم بالعدو المتربص، والأهداف الاستعمارية، والأحقاد التاريخية، والنظرة العدائية.

ونذكر نماذج مما حدث، فقد ذكرت إحدى المجلات الإسلامية أن جريدة «كوييرا ديلاسيرا» أشهر الصحف الإيطالية نشرت الحلقة الثانية من السيرة النبوية على صفحاتها، وذلك يوم الأربعاء في ٢٠٠٦/١/١١ م الموافق لثاني أيام عيد الأضحى المبارك ١٤٢٧هـ، تحت عنوان «**شخصيات التاريخ**» وأدى ذلك الإصدار إلى ارتفاع ثمن الجريدة لتصل إلى أكثر من ٧ يورو للنسخة الواحدة بسبب الإقبال الكبير عليها من جانب المسلمين وغيرهم في إيطاليا، ثم خصصت صفحة كاملة للسيرة النبوية في الملحق الثقافي، وأكدت الصحيفة في موقعها على شبكة الانترنت أن هناك اهتماماً متزايداً بالإسلام في مختلف أنحاء العالم لاسيما في ايطاليا مما دعاهم إلى نشر السيرة النبوية لجموع المسلمين.

كما أن أحد المبشرين قرأ السيرة النبوية لمحاربة النبي ﷺ، فأحبها واعتنق الإسلام، وذلك عقب مانشرت الصحف الدانماركية الصور المسيئة للرسول عليه الصلاة والسلام، فبدأ هذا المنصر الدانماركي (كريستي ٢٨ عاماً) يقرأ في سيرة النبي ﷺ لينطلق في دعوته التنصيرية من هذا المنطلق، ويلعب بورقة الإساءة للرسول ﷺ، ويقدمه باعتباره رجلاً أساء للبشرية، ولكن المنصر أعجب بسيرة النبي عليه الصلاة والسلام ومكث يقرأ فيها حتى اعتقد أن ماجاء به محمد ﷺ هو الحق، فتقدم إلى مكتب الجالية الإسلامية في «كوبنهاجن» وطلب إشهار إسلامه ونطق بالشهادتين على مرأى ومسمع

من الدانماركيين أنفسهم.

وأعلن مجلس العلاقات الإسلامية الأميركية «كير» في بيان له عن تلقيه أكثر من ١٦٠٠ رسالة من أمريكيين وكنديين يطلبون فيها الحصول على مواد ومراجع ومصادر تعرف بالنبي ﷺ خلال ٤٨ ساعة منذ إطلاق المجلس حملة «أعرف حياة محمد» يوم ٢٠٠٦/٢/١٤م، المعنية بتوفير مواد تعريفية بالرسول ﷺ مجاناً للأمريكيين والكنديين الراغبين بذلك.

وكل ذلك -لأن محمداً ﷺ- رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، والرؤوف الرحيم، وذو الخلق العظيم، أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨]، وماعلينا إلا أن نتعرف، ونعرف بسيرة النبي الكريم ليكون ذلك دعوة وذكرى للدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين

عاشراً: يوم بدر يوم الفرقان

الحمد لله الذي هدانا للإيمان والإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، اللهم يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، اللهم إنا لانحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأنت القائل: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

وأشهد أن لا إله إلا الله، الملك الحق المبين، ناصر الحق بالحق، والمؤيد لرسله وعباده المؤمنين، القائل لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، اصطفاه واجتباه، وأيده بالنصر المبين.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين الذين اتبعوه على الصراط المستقيم، وكانوا له الجند المنتصرين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

أما بعد:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

وقد شاءت الإرادة الإلهية **أن يتم الصراع بين الخير والشر** منذ وجد آدم وحتى تقوم الساعة.

وكانت السنة الإلهية أن يتم **النصر في الأخير للحق**، فإن للباطل جولة، وللحق جولات، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

واستمرت هذة السنة الكونية عند بعثة محمد رسول الله ﷺ الذي جاء بالهدى والنور انطلاقاً من **الدعوة لتوحيد** الله تعالى، وطلب من قومه أن يقولوا لا إله إلا الله لتكون لهم العزة في الدنيا والآخرة.

ولكن **قوى الشر تحركت**، ووقفت في وجه النبي ﷺ، وتمادت بالإيذاء والإضطهاد، والتعذيب والتآمر ثلاث عشرة سنة، والمسلمون ينتظرون الفرج من الله تعالى.

حتى أذن الله تعالى لرسوله وللمسلمين **بالهجرة** إلى المدينة المنورة لإعلاء كلمة الله تعالى، ونشر مبادىء العدل والأمن، **وأذن الله للمسلمين بالجهاد** والقتال لرد العدوان، فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

وبين القرآن الكريم **الهدف من القتال** بقوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٧-٨].

وبدأ رسول الله ﷺ الاستعداد للقتال، وتدريب الصحابة على ذلك، فأرسل السرايا والغزوات في السنة الأولى للهجرة والسنة الثانية حتى جاء رمضان.

أيها المؤمنون: لقد **هيأ الله الأسباب لمعركة بدر الكبرى** فخرج رسول الله ﷺ مع نفر من أصحابه **لاعتراض قافلة قريش** المحملة بالتجارة عائدة من الشام، لعلهم يستردون بعض ما فقدوه من أموالهم وديارهم في مكة بسبب هجرتم إلى المدينة، و لم يفكروا بقتال أو مواجهة.

ولما عرفت قريش بذلك **جهزت جيشها** للقضاء على الإسلام والمسلمين في عقر دارهم، والتقى الصفان عند ماء بدر قرب المدينة المنورة، فبدأ الرسول ﷺ **بالاستشارة** فأشار الصحابة بالمضي لملاقاة قريش، وقالوا له: «لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا هاهنا قاعدون، بل إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، والله لو خضت بنا البحر لخضناه معك».

وبدأ القائد رسول الله ﷺ بالاستعداد **وتهيئة الجيش الذي كان أقل عدداً وعدة** من جيش المشركين، ولكن الله أيدهم، فقال عز وجل: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

واتجه رسول الله ﷺ إلى الله تعالى بالدعاء **والتضرع والاستعانة، قائلاً:** «اللهم أنجز لي ماوعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذة العصابة من أهل الإسلام فلن تعبد في الأرض» وما زال يدعو حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فقال له الصديق أبو بكر: «هون عليك إن الله سينجز وعده» وأنزل

الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

وبدأت المعركة، ثم انتهت **بالنصر المؤزر** للمسلمين، وقد قتل صناديد قريش وزعماؤهم، وأسر سبعون منهم، وولوا الباقي الأدبار هرباً.

أيها المسلمون: إن معركة بدر صغيرة في حجمها، كبيرة في معانيها وآثارها، ولقد تجلت دروس كثيرة وعبر من خلالها، منها:

١- كانت معركة بدر في **١٧ رمضان**، وانتصر المسلمون فيها نصراً مؤزراً، وهذا يؤكد على فضل رمضان، وأنه شهر العمل والجد والانتصارات.

٢- كان المسلمون **أقل عدداً وعدة**، ثم انتصروا لتأكيد مبدأ مهم أنه لاعبرة للعدد ولا للعدة، ولكن العبرة للإيمان الذي تجلى من الرسول وصحبه، فنصروا الله تعالى بإقامة شرعه، وطاعته، والتزام دينه، وهذا هو المقرر في القرآن حتى تقوم الساعة: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾.

٣- ظهرت المبادىء السديدة **في القيادة الحكيمة** بمشاركة القائد نفسه في المعركة والقتال، فالجنود دائما من وراء قائدهم في الثبات والعزيمة، فكان يوجه المعركة، ويديرها ويشرف عليها، وليس من البيت أو القصر أو من وراء الإذاعات والمكبرات.

٤- وقعت قبل المعركة وأثناءها وبعدها توجيهات نبوية رشيدة **في الشورى والاستشارة** وقبل **نصيحة أهل الخبرة** كما فعل الخباب بن المنذر في تحديد المكان المناسب للجيش والمعركة، وأن جو المعركة لم يؤثر على إقامة الحق والعدل والإنصاف، كما فعل رسول الله ﷺ مع سواد.

٥- **الاستعانة بالدعاء**، والتوجه إلى الله تعالى، وهذا يقتضي أولاً طاعته والعمل على مرضاته، ليكون الدعاء مقبولاً ومستجاباً.

٦- إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين حتى تقوم الساعة، ويجب على المسلم أن يعتقد ذلك، ويعمل له.

٧- أصبحت بدر **خالدة في التاريخ، وذكرى غالية** للمؤمنين، وأصبح أهل بدر أفضل الصحابة، وأكرمهم عند الله وقال لهم: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

٨- كانت نتيجة المعركة قتل سبعين من المشركين، فأشرف الرسول على حفر القليب لهم لدفنهم حتى لاتنهشهم الطيور والكلاب، مراعاة لإنسانيتهم، وأسر سبعون من المشركين، فكانت معاملتهم رفيعة وسامية حتى أسلم معظمهم فيما بعد.

- أوصيكم بتقوى الله تعالى، فإنه خير عميم للعالمين، وفوز في الدنيا والآخرة، والعاقبة للمتقين.

- واعلموا أن الله صلى على نبيه قديماً، وصلت عليه الملائكة، ثم أمرنا بالصلاة عليه فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. فقد أمركم بأمر عظيم بدأ به بنفسه، وثنى بملائكة قدسه بالصلاة على رسول الله، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد.

- التذكير بفعل الخير، وتقديم الأموال في الوقف الخيري، والزكاة، والصدقات، والتعاون مع الهيئات الخيرية، فالثواب في رمضان يتضاعف.

- وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعلى المبشرين بالجنة، وسائر الصحابة أجمعين.

- اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

- اللهم أصلح لنا ديننا الذي هم عصمة أمرنا.

- اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته.

- اللهم وفق ولاة المسلمين لما تحبه وترضاه، للعمل بكتابك وسنة نبيك، وتحقيق عزة الإسلام والمسلمين.

- اللهم اجعلنا من عتقاء شهر رمضان، واعتق رقاب آبائنا وأمهاتنا من النار وأعنا على الصيام والقيام وغض البصر وحفظ اللسان، وبارك لنا فيما بقي من رمضان.

حادي عشر: الإسراء وانتفاضة الأقصى

يطل علينا هذا العام شهر رجب الحرام، وفيه ذكرى الإسراء والمعراج، التي تمثل معلماً في عقيدة المسلم وحياته، وتحمل المشاعر الكثيرة والدروس والعبر، ومنها الربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى في التقديس، والعبادة، والعواطف والآمال والأحكام، وفي هذا الوقت يرزح المسجد الأقصى تحت أيدي الاحتلال الصهيوني المعتدي الآثم، وينكل بالأهل والإخوة، ويكيد للمسجد الأقصى بالحفريات، والاعتداءات، والعبث بالمقدسات، وانتهاك حرمة المسجد، ودخول رموز الكفر والشرك والقتل والإرهاب إلى ساحاته، مما أدى للانتفاضة المباركة ضد العدو الغاصب المحتل، ومضى عليه سنوات وقدمت مئات الشهداء، وأكثر من عشرة آلاف جريح، مع هدم البيوت، وتشريد السكان والنساء والأطفال، وآلاف الأسرى.

وهذه الانتفاضة من الأعمال الجليلة الخالدة في هذا القرن، لأن حق الشعب بالمقدسات والتحرير لا يمكن التخلي عنه، أو السكوت عليه، بل تبذل في سبيله الدماء، كما قال الشاعر:

وللحريـــة الحمـــراء بـــاب بكـــل يـــد مـــضرجة يُـــدق

وحققت الانتفاضة إنجازات عظيمة، منها وحدة الشعب الفلسطيني، وتحريك مشاعر المسلمين في العالم، واستعدادهم للوقوف مع فلسطين والانتفاضة، وحماسهم للمشاركة والانضمام للجهاد لتحرير المقدسات، وإن دم الشهيد يطهر الأرض، وباب الشهادة مفتوح أمام المجاهدين، وأبواب الجنان تستعد لاستقبالهم، وخاصة العمليات الاستشهادية التي نص الفقهاء عليه بعبارتهم الخالدة إن المخاطرة بالنفس في القتال والجهاد أمر مشروع، وأما المشككون في

ذلك، ووصف الشهداء بالانتحاريين، فإنهم يجانبون الصواب، وحجتهم واهية، ويحتجون بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وهذه الآية حجة عليهم، لأنه لا يجوز الاحتجاج بنصف آية، وقطعها عما سبقها أو لحقها، كمن يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤]، فإن الآيات السابقة لهذه الآية تأمر بالقتال والجهاد، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٩٠] وهذا جهاد بالنفس، ويتوقف على الجهاد بالمال والتبرع، فقال تعالى بعدها: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٥] ثم قال تعالى بعد ذلك مباشرة: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أي إن ترك القتال والجهاد والبخل بالمال يؤدي إلى الهلاك.

والجهاد فرض، وهو ذروة سنام الإسلام، وأعظم الأعمال عند الله تعالى، وذكره رسول الله ﷺ بعد الإيمان بالله، عندما سئل عن أفضل الأعمال فقال: «الإيمان بالله تعالى، ثم الجهاد في سبيله»، وقال أيضاً: «الجهاد ماض إلى يوم القيامة»، وإن الأمم الحية لا ترضخ لاستعمار ولا استعباد.

وهنا يجدر التذكير بدور المسلمين في العالم تجاه الانتفاضة، لنؤكد أن الجهاد ثلاثة أنواع، ويبدأ بالعلم والكلمة والتوجيه والدعوة والدعاء، وهذا واجب كل مسلم عامة، والعلماء خاصة، ثم يأتي المال والإعداد، وهذا واجب الأغنياء وكل مستطيع ولو بالقليل، ثم يأتي الاشتراك في القتال والتضحية بالنفس، ويجب على كل مسلم أن يشارك في أحد الأنواع ولو بالكلمة والتضامن وشد الأزر والدعاء لتحقيق النصر للمجاهدين، ثم دعم الانتفاضة بالمال المتاح، وهو كثير وكثير في أيدي المسلمين، ويبقى النوع الثالث الذي

تكفل به الشعب الفلسطيني الشقيق في فلسطين الجريحة.

وإن قضية فلسطين قضية وطنية، وعربية، وقومية، ودينية، وإسلامية، وإنسانية، وكل حر شريف، وعاقل متزن يجب أن يساهم في دعم فلسطين، لتحريرها، وطرد العدو الغاصب منها، ويعيد الربط من جديد بين قدسية الإسراء ومعانيه، وشرف الانتفاضة واستمرارها، حتى يتحقق النصر بإذن الله، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، وما ذلك على الله بعزيز، والحمد لله رب العالمين.